إمبراطورية المغول

(دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم•)

603–766هـ/1206–1365م

أ.م.د.علاء محمود قداوي* م.د. رغد عبد الكريم أحمد النجار**

تاريخ التقديم: 2011/3/23 تاريخ القبول: 2011/5/3

يعد العصر المغولي واحداً من أكثر العصور التاريخية التي مرت بها البشرية فزعاً ورعباً، وغطت تداعياته حضارات متعددة وكان أكثرها إيلاماً ما وقع من تدمير على بلاد الصين وبلاد ما وراء النهر وإيران والعراق وآسيا الصغرى وشرق أوربا وغدت هذه البلدان تشكل الجزء الأكبر من مساحة الإمبراطورية التي كونها جنكيزخان واتخذ من قراقورم في منغوليا عاصمة لها.

وموضوع هذه الإمبراطورية يعد من الموضوعات المهمة في تأريخنا الإسلامي ومما هو مؤسف أن المكتبة العربية المعاصرة قليلة الدراسات والمصادر ذات القيمة حولها، فموضوعات هذه الإمبراطورية ليست أدنى مكانة من موضوعات الحروب الصليبية، وقد ارتبط جزء من تأريخنا العربي والإسلامي بهذه الإمبراطورية فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالاحتلال المغولي لبلاد الإسلام، وإسقاط الخلافة العباسية واحتلال بغداد ثم محاولة احتلال بلاد الشام ومصر وهزيمة المغول في عين جالوت .

(•) البحث مستل من أطروحه دكتوراة الموسومة((صراع ا لأسرة الملكية الحاكمة على السلطة في امبراطورية المغول)).

(*) قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.
(**) قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

هذا الارتباط جعل من الأهمية فهم ماهية هذه الإمبراطورية وهذا استوجب طرح أسئلة لفهمها منها من هم المغول؟ وما أصلهم؟ وقبائلهم وكيف وحدهم جنكيزخان وأقام إمبراطوريته ؟ وكيف قسم إمبراطوريته بين أبنائه وما تمخض عن ذلك من صراعات سياسية بين الأبناء ومن بعدهم الأحفاد على منصب الخانية التي قلما خلا عهد من عهودها من مشاكل حول من يخلف الخان المتوفى.

وغدت مسألة موت الخان تعني انقسام العائلة الحاكمة حول المتنافسين على المنصب وأحياناً كان يؤدي ذلك إلى حرب أهلية كما حدث بين قوبلاي وأريق بوقا وذهب عشرات الآلاف من جند المغول بسبب ذلك ، وكانت الحرب هي في الغالب تحسم المواقف لمصلحة أحد الأمراء من الأسرة الحاكمة على الآخر وأحياناً التسويات السياسة التي تحدث في المؤتمرات العامة ((القوريلتاي)) هي التي ترجح كفة أحد المتنافسين على الآخر.

هذا التنافس والصراع والتسويات السياسية حول منصب الخانية للأسرة الحاكمة في الإمبراطورية المغولية هي موضوع الدراسة والتي تضمنت العناوين الآتية:

أولاً – التأريخ المبكر للمغول

ثانياً– بداية نهوض المغول وتكوين دولتهم الأولى

ثالثا:– تيموجين وتكوين إمبراطوريته

1– الخارطة القبلية في منغوليا في حدود منتصف ق6هـ/12م ((التركيبة السكانية))

2– تيموجين والكفاح من أجل الزعامة

3– الانتصار على حليف الأمس

4 تيموجين – جاموخا وانفراط عقد الأخوة

5 – تيموجين يواصل انتصاراته ويوحد منغوليا

6– المؤتمر العظيم ((القوريلتاي)) سنة (603هـ/1206م)

7 – جوجي يتمرد على سلطة والده

رابعا: صراع الأسرة الملكية الحاكمة على منصب الخان الأعظم

1- تولي اوكتاي منصب الخانية
2- الصراع بين أبناء الأسرة الملكية الحاكمة على خلافة اوكتاي وتنصيب كيوك خاناً أعظم
3- إجراءات كيوك العقابية تجاه من شك في ولائه
4- سيورقتيتي وحسم الصراع على الخانية لمصلحة ابنها منكو
5 منكوخان يواصل تصفية من اتهم بالتآمر عليه
6- اريق بوقا – قوبلاي والحرب الأهلية على خلافة منكوخان
7- قوبلاي خان ونايان ومعركة الدم
8 – تيمور وأخوه كملا والنزاع على منصب الخانية.
9- انهيار حكم أسرة قوبلاي خان في بلاد الصين

أولاً- التأريخ المبكر للمغول

من هم المغول؟ ومن أين جاءوا؟ سؤالان ليس من السهل الإجابة عليهما ولكن يمكن القول إن أرض منغوليا التي يطلق عليها الآن تسمية جمهورية منغوليا الشعبية كانت قد مرت على أرضها قديماً شعوب هندو – أوربية عدة، ولعل أقدم ما أشير إلى من استوطنها شعب الهون [1] الذي ينتمي عرقياً للجنس التركي، وزمن ظهورهم على أرض هذه البلاد يرجع إلى ما قبل ظهور المسيحية[2].

ويشير المؤرخ الروسي كيتشانوف بأن ما ذهب إليه بعض المؤرخين الروس المعاصرين من أن المغول ينتمون عرقياً للهون لا يستند إلى أدلة علمية وقد لا تعدو آراؤهم أن تكون مجرد أمنية[3].

---

(1) أشارت الدراسات اللغوية التي قام بها مجموعة من الباحثين الغربيين بزعامة ماكس ملر بأن المجموعات البشرية التي تعرف في الوقت الحاضر باسم الشعوب الهندو– اوربية تعود في أصولها الأولى إلى منطقة جبال الهندكوش الواقعة شمال غرب باكستان امتداداً إلى أفغانستان. ولسبب مازال مجهولاً تباعدت هذه الشعوب عن موطنها لتنتشر قبل الميلاد في السهول الواقعة في الشمال الآسيوي بين جبال اورال والطاي وجنوباً حتى جبال القفقاس والبرد. وأبرز من اشتهر من هذه الشعوب الهون الذين استوطنوا أولاً في منغوليا وامتد نفوذهم إلى التركستان الصينية فتصدى لهم الصينيون وهزموهم فاتجهوا غرباً هرباً من الصينيين فاجتازوا سهل اوراسيا حتى وصلوا فرنسا بقيادة اتيلا بحدود سنة 451م. كون كارلتون: القافلة قصة الشرق الأوسط ترجمة برهان دجاني، منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت نيويورك 1959م، ص104–105، 109. وللتفاصيل عن هجرة الهون غرباً ينظر: عاشور سعيد عبد الفتاح: أوربا في العصور الوسطى، منشورات مكتبة الانجلو المصرية، ط3 1964 م، ص53–55 ،72–73.

(2) بروي، ادوارد: تأريخ الحضارات العام ((القرون الوسطى)) نقله إلى العربية يوسف اسعد داغر وفريدم داغر، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 1، 1965 م، ج3، ص356. العريني، السيد الباز: المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م، ص10. كتانة، محمد سعيد: الترك والعرب، أنقرة، 2001 م، ص70.

(3) حياة تيموتشجين: ((جنكيزخان)) الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة طلحة الطيب، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2005 م، ص10.

ترك الهون موطنهم في شمال منغوليا حول بحيرة بيكال بعد أن أعيتهم الغزوات الصينية ليتوجهوا غرباً نحو روسيا بحدود سنة 355م[4] وكان قبل رحلتهم قد زاحمهم بزمن على أرض منغوليا أقوام أخرى هم الجونجانيون والأوبوريون والسيانيون والاقار ((جوان – جوان)) وهؤلاء الأربعة ذوو أصول روسية [5]على أن تأريخ ظهورهم في منغوليا لم يحدد زمنياً باستثناء السيانيون الذين ترد تسميتهم أحياناً بسين – بي ويبدو أنها لفظة صينية وأن ظهورهم يرجع إلى القرن الثالث الميلادي متزامناً مع ظهور الاقار[6].

وفي القرن السادس الميلادي استقرت مجموعة بشرية جديدة من العنصر التركي أرض منغوليا هم التو – كيو ليؤسسوا في موطنهم الجديد الإمبراطورية التركية البدوية الأولى التي شملت سيادتها على أراضي منشوريا في الصين وامتداداً إلى خراسان شرقي بلاد إيران، وكانت لهذه الإمبراطورية حدود مشتركة من الغرب مع إمبراطورية فارس الساسانية [7]غير أن سيادتها لم تطول بسبب الإنهاك الذي أصابها بفعل الضربات الصينية[8].

فاستغل ذلك الأتراك الايغوريون الذين كانوا يسكنون شمالي شرقي التركستان [9] ليجهزوا على إمبراطورية التو– كيو وليقيموا بدلاً عنها دولة قوية

(4) شبولر، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد أسعد، دار إحسان للطباعة والنشر، دمشق، ط 1، 1982 م، ص19. اليوسف، عبد القادر أحمد: العصور الوسطى الأوربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967 م، ص43.

(5) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص9.

(6) العريني: المغول، ص10.

(7) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص356. العريني: المغول، ص10.

(8) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص356.

(9) ابن العبري، غريغوريوس الملطي: تأريخ الدول السرياني، منشورات مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، 1954 م،ص418.

امتدت إلى الجنوب من بحيرة بيكال جاعلين من ((قره بلغاسون)) [10]عاصمة لدولتهم.

وبقدر تعلق الأمر بالمغول فتشير المعلومات التي بحوزتنا بأن سهول الضفة الجنوبية لنهر أمور غرباً من مصب نهر سونغاري وشرقاً من سلسلة جبال خينجان الصغرى ضمن أرض منغوليا كانت تستوطنها قبيلة يطلق عليها اسم أتراك الشيواي[11] التي ينحدر منها المغول كما سنثبت ذلك لاحقاً، وأتراك الشيواي كانوا من ضمن رعايا الدولة الايغورية حيث عاشوا حياة تنقل طلباً للكلأ[12].

وفي حدود عشرينات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي حدث صراع بين الايغور والأتراك القرغيز الذين هاجموا منغوليا بعد تركهم لموطنهم في أعالي نهر ينسي في أرض الصين وتمكنوا من إسقاط الدولة الايغورية لتكون لهم السيادة فيها وذلك سنة (226هـ/840م)[13]، وكان من جملة ضحايا هذا الصراع قبيلة الترك الشيواي التي هوجمت من قبل القرغيز سنة (233هـ/ 847م) فاضطروا لترك موطنهم هاربين ليستوطنوا في الأماكن الشاغرة من بعض المناطق الصينية الشمالية الغربية[14].

---

(10) قره بلغاسون: تقع في منغوليا الغربية في الجزء الشمالي من مناطق قراقورم الجبلية بنيت مدينة قره بلغاسون على ضفاف نهر اورخون في عهد الخان الايغوري بوقوخان لتكون عاصمة لدولته وقره بلغاسون تعني المدينة الكبيرة وكانت تسمى أيضاً ((أردوباليف)) أي مدينة الجيش. الجويني، عطا ملك: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط 1، 1985م ، م1، ص81. إقبال، عباس: تأريخ المغول من حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة، عبد الوهاب علوب، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000م، ص19.

(11) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص83. كتانة: الترك والعرب، ص74.

(12) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15.

(13) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج 3، ص356. العريني: المغول، ص 29. كتانة: الترك والعرب، ص76.

(14) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15.

وفي الروايات التاريخية لأسرة تان الصينية[15] التي حكمت شمال الصين للفترة المحصورة بين سنة (618–908م) ورد اسم الترك الشيواي على أنهم كانوا يعيشون ضمن رعايا هذه الأسرة وتضمنت رواياتهم وصفاً لطريقة عيشهم بأنهم كانوا يعيشون مشتتين على ضفاف الأنهر باحثين عن الماء والكلأ ولا يوجد فيهم ملك بل يحكمون من قبل سبعة عشر أميراً يسمون ((مخيفو)) ويتوارثون الحكم وكانوا يستخدمون الأقواس القرنية والسهام الخشبية في حروبهم وأحياناً يخرجون إلى الصيد بالحراب كما كانوا يفلحون الأرض، ولا يدفعون عليها الضرائب، ويشيدون منازلهم ويسقفونها بالجلود وكانت كل مجموعة منهم تضم عشرات العائلات وقلما تصل المئات[16].

غير أن أهم ما ورد في هذه الروايات وبما له علاقة بدراستنا هي أن أتراك الشيواي والكيدانيين هم من أصل واحد، وأطلق الصينيون على الذين استوطنوا القسم الجنوبي من منطقة استيطان الشيواي بالكيدانيين الذين تمكنوا من إقامة دولة خاصة بهم في أجزاء من شمالي الصين سميت بالدولة الكيدانية أو بدولة الكين الحديدية[17] التي استمرت حتى منتصف القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[18].

---

(15) أسرة التان والتانج الصيني: حكمت هذه الأسرة الإمبراطورية الصينية للفترة من (618 – 908م) وأول حكامها لي شي مين الذي توطدت وازدهرت الإمبراطورية في عصره وبلغت هذه الإمبراطورية اوج اتساعها على يد حكام هذه الأسرة في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي حيث دانت لحكمها شعوب التبت وآسيا الوسطى في الغرب وصولاً إلى سلسلة جبال الباميز ومنغوليا ومنشوريا وكوريا في الشمال وأنام في الجنوب بالسيادة الصينية. وللتفاصيل عن حكم هذه الأسرة ينظر، هوخام، هيلدا: تأريخ الصين منذ ما قبل التأريخ حتى القرن العشرين، ترجمة اشرف محمد كيلاني، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص136 –137، 162.

(16) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج 3، ص356. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 10–11.

(17) عن دولة الكين وأصولهم ينظر: بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتتش: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات المجلس

أما أتراك الشيواي الشماليين فقد نافسهم أخوانهم الكيدانيون على مناطق نفوذهم فدخلوا معهم في حروب اضطروا على اثرها ترك ديارهم والهجرة ثانية إلى الأجزاء الشرقية من منغوليا بين أعوام (272و274هـ/ 885 و 887م) لتقضيَ هناك عليهم قبائل التتار– والتي سيتم التطرق إلى أصولها لاحقاً – فأبادوا من تبقى ومن نجا وهم لا يتعدون أصابع اليد التجأوا إلى الأماكن الوعرة في وديان جبال لا يمكن الوصول إليهم إلا عبر مسالك ضيقة وبعد أن اطمأنوا بعدم قدرة أعدائهم في الوصول إليهم نزلوا إلى سهل منطقة أرغون كون المليء بالأعشاب وذي المناخ الجيد وكان من بين هؤلاء الناجين رجل يُدعىَ قيان وزوجته وابن عمه نوكوز وامرأته كيان اللذين سكنا هذا السهل ومنهما تكاثر معظم المغول [19] وعلى ما يبدو أن هزيمتهم القاسية هذه وما تعرضوا إليه من عملية إبادة جعلتهم قوماً ضعفاء غير قادرين على مواجهة خصومهم، وبسبب ضعفهم هذا أطلقت عليهم القبائل البدوية الأخرى تسمية المغول بدلاً من اسمهم الأصلي الشيواي [20]، وتسمية المغول باللغة الايغورية تعني الضعيف أو المغفل اوالواهن أو الغبي[21].

ويقودنا هذا التحليل إلى التوصل إلى التأريخ التقريبي لزمن استخدام مصطلح المغول الذي يعود إلى ما بعد الهجرة الثانية لقبيلة الشيواي إلى منطقة

الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981 م، ص544. الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التأريخ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص21. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15.

(18) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص10–13.

(19) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، لينغراد، 1953م، م1، ج1، ص41. كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص15.

(20) يشير المؤرخ الروسي كيتشانوف بأن الدراسات اللغوية الحديثة التي تتبعت جذور لغة الشيواي الصينية وجدت أن الصلة بين لغة الشيواي الصينية واللغة المغولية في منغوليا في الوقت الراهن لا تخضع للشك في أن اللغتين ترجعان في أصلهما إلى لغة واحدة، وهذا الرأي يدعم القول بأن المغول ينحدرون بالأصل من قبيلة الترك الشيواي. حياة تيموتشجين، ص14.

(21) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص41.

أرغون كون في منغوليا التي حدثت سنة (274هـ/ 887م) وقبل هذا التأريخ كان مصطلح المغول مجهولاً لدى سائر الشعوب بما فيهم الصينيون إلى زمن ظهوره على يد جنكيزخان[22] الذي عمم التسمية على كل قبائل منغوليا كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

ثانياً- بداية نهوض المغول وتكوين دولتهم الأولى

تحيط الأسطورة الضاربة بالخيال الكثير من الروايات التاريخية التي تتناول تأريخ مغول الشيواي بعد هجرتهم الثانية وربما يعود السبب في ذلك أن المغول لم يتركوا بسبب أميتهم أي أثر أدبي أو تأريخي مكتوب يعود إلى ما قبل سنة (599هـ/ 1202م) تأريخ طلب جنكيزخان استخدام الخط الايغوري في خطاباته الرسمية[23] وان أقدم إشارة لنص مكتوب في هذه الفترة بهذه اللغة هو ما عرف باسم حجر جنكيز خان، وهو عبارة عن نقش على حجر مضمونها عبارات تمجيد لأحد أقرباء جنكيزخان[24]. وعليه فإن معظم الروايات التاريخية التي تناولت تأريخ المغول القديم جاءت متناقلة شفاهاً اختلطت بها الأسطورة وما زاد الطين بلة أن المغول كانوا ميالين لصنع تأريخ أسطوري لجذورهم كي يتوافق مع المجد الذي حققوه في عهد خاناتهم العظام.

ولهذا عندما كتب تأريخهم القديم من قبل مؤرخيهم كالجويني (ت 681هـ/1282م) ورشيد الدين الهمذاني (ت 718هـ/ 1318م) تضمن في الغالب روايات ضاربة في الخيال منها على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره رشيد الدين الهمذاني من أن المغول الشيواي بعد هجرتهم الثانية وعيشهم في الجبال الضيقة في منطقة أرغون كون عملوا على صهر سفح جبلي مكون من الحديد ليشقوا فيه

(22) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص545.
(23) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص418–420.
(24) جبران، نعمان محمود أحمد وآخرون: دراسة في المصادر الرسمية لتأريخ أسرة يوان المغولية، مجلة، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، العدد التاسع، 1997 م، ص309 – 310.

ممراً جبلياً منه عبروا إلى السهول الرحبة [25]، وتتكرر روايات عديدة على هذه الشاكلة.

وعلى أية حالة تشير المعلومات الأسطورية القليلة عن مغول أرغون كون الذي ينتسب إليهم تيموجين مؤسس الإمبراطورية المغولية الثانية أن رجلاً يدعى دوبون ميرغان كانت له زوجة تدعى الآن غوا وكانت جميلة جداً ولدت له ولدين يدعيان بوغونوتان وبيلغونوتاي عاجلاً أم آجلاً وافت المنية الأب دوبون وبعد موته بحين ولدت أرملته من غير زواج ثلاثة أولاد هم بوغوخاداغي وبوخاتوسالتشجي وبودونتشار المغفل.

أخذ الابنان بوغونوتان وبيلغو أبناء دوبون يتحدثان خفية عن أمهم ويتهمانها بأن لها ثلاثة أبناء دون زواج وهنا استدعت الان غوا ابنيها وقالت لهما ((أبنائي بوغو وبيلغو حكمتما علي وفيما بينكما تقولان إنني قد أنجبت ثلاثة أبناء فمن هو والدهم؟ ولعلكما محقان في الشك بي لكن خفية الأمر انه في كل ليلة أرى في الحلم أن رجلاً أشقر الشعر أزرق العينين يدخل عليَّ عبر فتحة الدخان لخيمتي ليقترب مني وليخرج منه شعاع يتغلغل في أحشائي ثم يختفي، فاندهشت لهذه الحالة وفهمت فيما بعد دون أن اخبر أحداً بأنني حبلى)).

وهكذا عللت الآن غوا لأبنيها بأنها قد حبلت من أشعة النور بأولادها الثلاث وان الثلاث هؤلاء موسومون بختم سماوي وسيكونون خانات على الجميع وعندها ستندمون على تقولكم وسيدرك البسطاء الحقيقة[26].

وما يهمنا من أسطورة الميلاد العجيب الابن بودونتشار المغفل الذي لم يكن مغفلاً لأنه أوصل ابنه خايدو ليتولى زعامة القبيلة وغدا سليلَ نسله هم المتوارثي للزعامة إذا ما تولى خابول بعد أربعة أمراء سبقوه يكون مقام المغول السياسي قد ارتفع في المنطقة[27] حدث ذلك عندما حسّنَ خابول علاقته مع أبناء

(25) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص154.
(26) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص14.
(27) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص23– 24. هوخام: تأريخ الصين، ص219.

عمومته الكيدانيين مؤسسي دولة الكين الكيدانية في شمال غربي الصين والذين منحوه لقب لينفين أي قائد الحرس الحدودي ولقب سياوفين أي الوزير[28].

أعقب خابول على الزعامة آبنه أمباغاي الذي لقب بالكاغان أي الحاكم والقائد للقبائل كافة التي سميت خاماغ منغول اولوس [29] أي مناطق نفوذ المنغول وبذلك يكون خابول هو المؤسس الحقيقي لدولة خاماغ منغول اولوس وابنه امباغاي الذي ثبت أقدامها ليرتفع مجد الدولة أكثر في عهد أحفاده الذين تمكنوا من إضافة سبع عشرة محمية لدولتهم شمال نهر سينينخا بعد حروب طاحنة مع دولة الكين والتي لم تتوقف إلا بصلح سنة (542هـ/1147م)[30].

ومن دلالات قوة الدولة هذه فضلاً عما ذكرناه هو سعة تبادلها التجاري مع الأطراف فكانت تستورد سنوياً خمسين ألف رأس من الماشية وتصدر خمسين ألف كيس من الحبوب وثلاثمائة ألف قطعة من الحرير الناعم والخشن[31].

وفي حدود سنة (555هـ/ 1160م) آفَلَ نجم هذه الدولة وكانت قبيلة التتار التي سنتكلم عنها لاحقاً سبباً رئيساً في تفكك هذه الدولة ففي غمار المعارك الحربية مع التتار الذين كانوا من أشد المناهضين لهذه الدولة بأسر التتار زعيم هذه الدولة كينابا باركاكا وأعدموه وبإعدامه انهارت دولته[32].

(28) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص23–24.

(29) اولوس: تعني قبيلة أو طائفة أو جماعة أو موطنها أو مناطق نفوذها، الهمذاني: جامع التواريخ "تأريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قاأن إلى تيمور قاأن"، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص22، الهامش رقم (2).

(30) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 544. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص24–25.

(31) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص26.

(32) الصياد: المغول في التأريخ ص27. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص26.

ثالثا– تيموجين وتكوين إمبراطوريته

1- الخارطة القبلية في منغوليا في حدود منتصف ق6هـ/12م ((التركيبة السكانية))

تشير الخارطة القبلية في منغوليا إبان تفكك الدولة المغولية الأولى في حدود منتصف القرن (6 هـ/ 12م) إلى العديد من القبائل التي ساهمت في الصراعات السياسية التي شهدتها البلاد والتي انبثق عنها تأسيس الإمبراطورية المغولية الثانية بزعامة تيموجين ((جنكيزخان)).

وأشهر هذه القبائل هي:

1– التتار:

يشكل التتار أكبر المجموعات القبلية المنتشرة على معظم أرض منغوليا[33] وتشير نقوش اورخون [34] أنهم كانوا يتكونون من تسع وثلاثين قبيلة

(33) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1،ص60. فامبري، ارمنيوس: تأريخ بخارى، ترجمة أحمد محمود الساداتي، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1965 م، ص161. الحسيسي، أحمد السيد: العالم الإسلامي في العصر المغولي لشبولر، بحث منشور في مجلة عالم الكتب م5، العدد الأول، 1984م، ص225.

(34) نقوش اورخون هي أقدم آثار تركية أنشأها الترك أنفسهم عن تأريخهم فأصحاب هذه الآثار قد سموا أنفسهم لأول مرة في التأريخ بالترك وهم قوم ظهروا في القرن السادس الميلادي وأسسوا لهم دولة امتدت في هذه الفترة من حدود الصين إلى إيران وتتناول نقوش اورخون فترة نصف قرن (9–61هـ/ 630 – 680م) وهي الفترة التي فرض هؤلاء سلطتهم على كل القبائل بما فيها قبائل منغوليا ووردت في نقوش اورخون معلومات قيمة عن حركة القبائل ومواطن استقرار بعضها وحركة الصراعات السياسية بينها، وعن لغة الترك وبعض المعلومات التي تتعلق بالنظام السياسي والاجتماعي عند الأتراك. ولمزيد من التفاصيل عن نقوش اورخون ينظر: القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الابياري، الناشر دار الكتب اللبناني، ط 2، بيروت، لبنان، 1982م، ص28–29. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة احمد السعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1958 م، ص4–11، 34. كتابجي، زكريا: الترك في مؤلفات الجاحظ، دار الثقافة، بيروت، 1972 م، ص24–54، وقد أفاض الكاشغري في وصف قبائل الترك وأصولهم ومواطنهم وللتفاصيل ينظر، محمود بن حسين بن محمد: ديوان لغات الترك، دار الخلافة العلمية، المطبعة العامرة، ط 5، 1333هـ، م1،

توحدت باسم تتار[35] وأول ذكر للتتار طبقاً لهذه النقوش تنحصر بين أعوام (9-61هـ/ 630-680م)[36] في حين يرد أول ذكر لهم باسم تتار في المصادر الصينية في سنة (228هـ/ 842م) على عهد حكم أسرة لياو الصينية وتسمية تتار في اللغة المغولية تعني نوع من السهام [37]. والتتار ينحدرون في أصولهم من جنس الترك[38].

وقد صنف الصينيون التتار طبقاً لدرجات حضارتهم إلى ثلاثة أصناف التتار البيض ووجودهم في المنطقة الجنوبية من منغوليا شمال الحدود الصينية مباشرة وهؤلاء كانوا متأثرين بالحضارة الصينية ثم التتار السود بعيداً عنهم إلى الشمال منتشرين شمال صحراء جوبي وكانوا يمارسون حياة البداوة والتنقل وأخيراً

ج2، ص27،3 – 28،56. وينظر كذلك. بارتولد: مادة ترك، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، م5، ص46. العزاوي، عباس: تأريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، 1935م، ج1، ص53-55.

(35) هوتسما: مادة تتار، دائرة المعارف الإسلامية، م4، ص576.

(36) بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص4.

(37) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص15-41.

(38) ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل في التأريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966م، ج12، ص361. الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص102-312،103. الذهبي، الحافظ شمس الدين: دول الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، القاهرة1974م، ج2، ص121. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: تأريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان1971 م، ج5، ص516. العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة1967 م، ص21. القرماني أبو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي: أخبار الدول وأثار الأول في التأريخ، عالم الكتب، بيروت، ص283-284. الرمزي، م.م: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص337. سرهنك، الميرالاي إسماعيل: حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الميرية ببولاق، ط1، مصر، 1314هـ، ج2، ص165 وينظر كذلك، الكاشغري: ديوان لغات الترك م1، ص3 ،27-28، 56-57، كتابجي: الترك في مؤلفات الجاحظ، ص36.

التتار المتوحشون أو ساكنوا الغابات على الروافد العليا لنهر أونون وكيرولين ومارسوا حياة الصيد [39] والتتار قبيلة مستقلة عن المغول لا بل يعدون من أشد أعداء المغول [40] وكانوا في أغلب الأوقات خاضعين لملوك الخطأ في الصين[41] ومن آنٍ لآخر كانوا يثورون على الخطأ فيسرع هؤلاء على مقاومتهم وإجبارهم على الخضوع مرة أخرى، وعرف التتار بشدة البأس

(39) العريني: المغول ص 33. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 153. بروكلمان، كارل: تأريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط7، بيروت 1977م، ص381. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، المكتبة العصرية، بيروت 1969م، ص33. شبولر: العالم الإسلامي، ص20 –21.

(40) العريني: المغول، ص33.

(41) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص60. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970م، ج6، ص248. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص 31، والخطأ: هم من التونغوز والتونغوز من الشعوب الصينية التي تنتمي إلى عائلة اللغة التائية وموطنهم الصين الشمالية في اقليم يعرف باسمهم ((إقليم الخطأ)) وفي النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي نزحت جماعات من قبائل الخطأ من موطنهم الأصلي في شمال الصين على اثر الاضطراب الذي ساد هذه المنطقة واستقروا غرب إقليم التركستان حيث كونوا دولة لهم فيها عرفت باسم دولة القرة خطائيين، وقره لفظة تركية بمعنى اسود ويبدو أن التتار هم الذين أضافوا هذه اللفظة على الخطأ للتعبير عن عدائهم وكراهيتهم لهم، وقد استطاع ملوك هذه الدولة الذين كان يلقب كل واحد منهم بلقب كورخان (أي ملك الملوك) توسيع مملكتهم الجديدة شرقاً وغرباً حتى امتدت حدود دولتهم من صحراء جوبي داخل حتى نهر سيحون ومن هضبة التبت الي سيبيريا وللتفاصيل ينظر: ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص134. ميرخواند، محمد حميد الدين بن سيد برهان الدين: تأريخ روضة الصفا، تهران، 1339 هـ، ج4، ص356. العبود، نافع: الدولة الخوارزمية، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978م، ص24 ،64–67. العريني: المغول، ص32–33. شبولر: العالم الإسلامي، ص 21. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص122 – 124.

والجبروت وكانوا يعيشون في صراع دائم مع بعضهم البعض والحروب تنشب بينهم لأتفه الأسباب وقد تستمر المعارك بينهم عدة سنوات ولم يكن لهم قانون يحكمهم أو شريعة يسيرون عليها [42] وعلى حد تعبير رشيد الدين الهمذاني ((لو كان يسود هؤلاء الأقوام الوئام، ويؤلف بين قلوبهم الاتحاد لما استطاعت أقوام الخطأ ولا غيرهم التغلب عليهم أو النيل منهم))[43].

وأتاح سقوط دولة الخطأ سنة (519 هـ / 1125م) الفرصة للتتار في أن يعيدوا منغوليا إلى سابق عهدها من الفوضى والاضطراب [44] وبسبب جبروتهم استطاعوا أن يفرضوا إرادتهم على أغلب القبائل بحيث أن قبائل الأتراك الأخرى على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون باسمهم فأطلق على الجميع اسم تتار أو تتر.

يقول رشيد الدين الهمذاني ((انه لهذا السبب لا زال للآن في بلاد الخطأ والهند والصين ومنشوريا وبلاد القرغيز والكلاربسين والباشغريين في منطقة دشت القفجاق والنواحي الشمالية منها وأقوام من الأعراب والشام ومصر والمغرب يطلقون اسم التتار على أقوام الأتراك))[45].

2- الكرايت:

ينتسبون إلى العنصر التركي[46] ومناطق انتشارهم الشاطئ الغربي لبحيرة بيكال بين نهرأرخون وجبال كنتاي حتى سور الصين، ويعد الكرايت من القبائل

(42) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص60.
(43) جامع التواريخ، م1، ج1، ص102.
(44) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص60. شبولر: العالم الإسلامي، ص21.
(45) جامع التواريخ، م 1 ج1، ص42، وينظر. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص152. هوتسما: مادة تتار، دائرة المعارف الإسلامية، م4، ص577.
(46) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1، ج1، ص102. فهمي، عبد السلام عبد العزيز: تأريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، 1981 م، ص14، بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 545. رانسيمان، ستيفن: تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار الثقافة، بيروت 1969م، ج3، ص410.

التي كان لها شان كبير في الصراعات التي شهدتها منغوليا في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكانوا في أكثر الأوقات على خصام مع التتار وكثير ما كان زعماؤهم يستعينون بحكام الصين الشمالية للإيقاع بالتتار[47] والكرايت هم أكثر القبائل المنغولية التصاقاً بالمغول ولهذا عدهم البعض قبيلة مغولية[48].

ووصف الجويني الكرايت بأنهم قبيلة ((ذات قوة ومكانة تفوق غيرها من القبائل بالعدة والعتاد والعدد))[49] باستثناء التتار.

وأشهر زعمائهم زمن ظهور تيموجين ((جنكيزخان)) هو طغريل [50] الذي سيكون له دور كبير في الأحداث التي ساهمت في ظهور جنكيزخان [51] وكان

(47) العريني: المغول، ص 34: كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 43–44. عمران، محمود سعيد: المغول واوربا، دار المعرفة الجامعية، 1997 م، ص31.

(48) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 43. عمران: المغول وأوربا، ص 31. الحسيسي: العالم الإسلامي، ص225.

(49) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص69. وينظر عمران: المغول وأوربا، ص31.

(50) طغريل ((اونك)) ((وانج)) المصادر والمراجع التاريخية تأخذ الاسمين معاً أو أحدهما والاثنان يمثلان شخصية واحدة وهو زعيم قبيلة الكرايت وطغريل هو التسمية المحلية أو القبلية له أما اونك فهي التسمية الصينية له وهناك من يطلق عليه اسم يوحنا المسيحي الكريتي كابن العبري في كتابيه تأريخ الدول السرياني، ص 419. وتأريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني، 1983م، ص394. اما كيتشانوف فيسميه فان خان، ينظر: حياة تيموتشجين، ص 177–178، 185. ويرد عند ابن كثير والقلقشندي باسم اوزبك خان، ينظر: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، مطبعة المعارف، بيروت، 1966م، ج13، ص118. صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1987م، ج4، ص310 –311. والاسم الصحيح اونك خان، ينظر: المقريزي، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة، ج2، ص220.

(51) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص337. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص420.

طغريل قد حاز على لقب وانج اللقب الصيني للملك من إمبراطور كين الصينية بصفته تابعاً لأسرة كين فاشتهر طغريل في التأريخ بلقبه الصيني والتركي وانج خان[52] وبعض المصادر الأخرى تسميه بأونك خان وبسبب اعتناق اونك خان هو وأتباعه الديانة المسيحية على المذهب النسطوري [53] ذاع أمرهم في أوربا [54] واتخذ زعماؤهم في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي أسماء مسيحية فكان يطلق على اونك أووانج خان لقب يوحنا المسيحي اللدود الذي قام بدور كبير في تعميم الديانة المسيحية على أتباعه[55].

3- النايمان:

اختلف الباحثون المعاصرون في أصل النايمان فهناك من يرى بأن النايمان هم من أصول تركية[56] ومنهم المؤرخ الروسي راتسنفسكي الذي يعتقد بأن النايمان من الترك [57] يؤيده في ذلك عدد من الباحثين الذين يرون بأن النايمان ترك تشبهوا في تقاليدهم وعاداتهم بالمغول [58] في حين يرى الباحث المنغولي المعاصر تشولوني دلاي بأن النايمان ((قبيلة مغولية تتحدث باللغات التركية)) ويذكر بأنه ((لا توجد مسوغات تاريخية لادعاء الباحثين المعاصرين من أن

(52) العريني: المغول، ص34. شبولر: العالم الإسلامي، ص23.
(53) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69.
(54) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج 1، ص355. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص 15. شبولر: العالم الإسلامي، ص20. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص359. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص381.
(55) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 420. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج 1، ص355. عمران: المغول وأوربا، ص32.
(56) إقبال: تأريخ المغول، ص 48. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص 14. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص359. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص415.
(57) اورد هذا الرأي كيتشانوف في كتابه حياة تيموتشجين، ص44.
(58) العريني: المغول، ص35. الصياد: المغول في التأريخ، ص29.

النيامان من أصول تركية)) فهم من الجنس المغولي الخالص [59] ولعل ان رأي دلاي لا يعد حجة لأنه غير مدعم بنصوص تاريخية في حين يبدو بأن الرأي الأول هو الراجح كون مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني المتوفى سنة (718هـ/ 1318م) أشار صراحة إلى ان النايمان قبيلة تركية[60] والنايمان بدو رحل موطنهم في الجزء الغربي من منغوليا في الحوض الأعلى لنهر أورخون وعلى منحدرات جبال التاي وضفاف بحيرات تلك المناطق[61].

اعتنق النايمان الديانة الشامانية [62] شأنهم شأن معظم قبائل منغوليا [63] غير أن الديانة المسيحية على المذهب النسطوري نفذت اليهم وجاءتهم عن طريق

(59) أورد هذا الرأي كيتشانوف في كتابه حياة تيموتشجين، ص44.

(60) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص102.

(61) إقبال: تأريخ المغول، ص 48. الصياد: المغول في التأريخ، ص 29. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص191.

(62) الشامانية: اصطلاح أطلق على مجموعة من الديانات البدائية التي سادت بين البدو الرحل وسكان بلاد منغوليا ومحور هذه الديانة تدور حول عبادة كل شيء يسمو على مدارك المغول، اوكل شيء يخشونه أو يرهبون منه فكانوا يعبدون مثلا النهر والجبل والبرق الخاطف والرعد القاصف وكانوا يفعلون ذلك دفعاً لشرها وجلباً لرضاها ويمثلها الكاهن الذي عرف باسم شامان ومن هذه العبادة اشتقت التسمية والشامان تصير إليه الوظيفة بشكل وراثي بعد ان يمر بعدة ادوار حتى يتمكن من ممارسة وظيفته التي تجعله بالنسبة لقومه رجل دين وسحر وطب وحتى سياسة وحرب وغير ذلك، وقد ظل الشامانيون لعهد طويل يعدون الاشخاص الموثوقين والمعتمد عليهم أكثر من غيرهم في تلك البلاد. شبولر: العالم الإسلامي، ص 21 والهامش رقم (1) من الصفحة نفسها. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص84–85. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص153. الصياد: المغول في التأريخ، ص335. ولمزيد من التفاصيل عن الشامانية ينظر ابن الأثير: الكامل في التأريخ، ج 12، ص360. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ترجمها عن الانكليزية توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977 م، ص108، 182، حسن، حسن إبراهيم: تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط 1، القاهرة، 1967 م، ج 4، ص133. ارنولد، سير توماس: الدعوة إلى

قبيلة الايغور التركية الذين يعيشون إلى الجنوب منهم [64] والنايمان قبيلة ذات أعداد كبيرة [65] وشُعبٍ عديدة ولهم جيوش كبيرة وقوية عرفوا بشدة بأسهم في الحروب يُؤتمرون بأمر ملك لا يخالفونه إلا إذا خرج عن تقاليدهم البدوية وكان يطلق على ملوكهم اسم كوشلك خان أي الملك العظيم القوي وأشهر ملوكهم تايانك خان الذي حاربه جنكيزخان[66].

4- الايغور:

هم من الترك أيضاً[67]، وهم أكثر أقوام منغوليا تحضراً[68] كانوا منتشرين شمال منغوليا اسسوا لهم دولة في منغوليا بعد أن شكلوا حلفاً من تسع قبائل وكان يلقب ملكهم بـ ((ايدي قوت)) ومعناها ملك الدولة[69] وكانت ديانتهم مانوية وبوذية ومسيحية[70] وقلة منهم كانت تدين بالشامانية[71] وفي القرن التاسع الميلادي حلت

الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970 م، ص251. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص381-382.

(63) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص84.

Zenkovsky , Serge. A: Pan- Turkism and Islam in Russia, Cambridge , 1967 , p. 12

(64) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص87. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص359. العريني: المغول، ص35.

(65) عرف النايمان بتسمية ساقيز و ساقيز باللغة التركية تعني ثمانية ونايمان بالمغولية تعني أيضاً ثمانية ولعل قبيلة النايمان جاءت تسميتها من اتحاد الثمانية قبائل أو أنها كانت مقسمة إلى ثمانية أقسام عملت تحت زعامة موحدة خلال فترة ظهور جنكيزخان عن ذلك ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص69 و هامش (2) من الصفحة نفسها.

(66) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1، ج1، ص137. الصياد: المغول في التأريخ، ص 30. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص14.

(67) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص342. إقبال: تأريخ المغول، ص48.

(68) بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص156. إقبال: تأريخ المغول، ص58-59.

(69) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص75.

(70) الصياد: المغول في التأريخ، ص22.

الكتابة الايغورية [72] مكان الابجدية التركية القديمة وقد اتخذ المغول على عهد جنكيزخان أبجدية الايغور التي شاع استعمالها على جميع إمبراطوريته[73].

استمرت دولة الايغور قائمة في منغوليا حتى سنة (226هـ/ 840م) إذ في هذا العام اسقط القرغيز هذه الدولة[74] ليغدوا الايغور بعد ذلك مجردين من السلطة حتى استطاع بعضُهم تأسيس إمارة لهم في التركستان الشرقية [75] في منطقة بيش باليغ[76] ما لبثت أن دخلت في طاعة جنكيزخان سنة (606هـ/1209م) [77].

5- مركيت:

موطنهم جنوب بحيرة بيكال في المجرى الأسفل لنهر اورخون وحول نهر سانجا الواقع شمال موطن الكرايت[78] وهم الاكثر تداخلاً مع قبيلة المغول، ولهذا عدهم رشيد الدين الهمذاني بأنهم من جنس المغول [79]، والمركيت قوم اشتهروا بالبسالة والقسوة وشدة الاحتمال في الحروب وكانوا كثيري العدد لهم جيش قوي

(71) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص84.
(72) عن الأبجدية الايغورية. ينظر بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص49-50.
(73) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص62. العريني: المغول، ص 30. جبران: دراسة في المصادر الرسمية لتأريخ أسرة يوان المغولية، ص309.
(74) بروي: تأريخ الحضارات العام ج3، ص356. العريني: المغول، ص29.
(75) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص75. إقبال: تأريخ المغول، ص58.
(76) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص76. بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص5. إقبال: تأريخ المغول، ص58.
(77) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص75-76، 85. الصياد: المغول في التأريخ، ص51.
(78) العريني: المغول، ص 35. إقبال: تأريخ المغول، ص 48. الصياد: المغول في التأريخ، ص28. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص43.
(79) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص114.

عارم[80] ولهم شأن كبير في الأحداث السياسية والعسكرية التي ساهمت في ظهور جنكيزخان.

6- المغول:

يرجع التأريخ المبكر للمغول إلى قبيلة الشيواي التي سبق الحديث عنها والمغول في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كانوا يشكلون مجموعة بشرية ضمت عدداً من القبائل أطلق عليها بمجموعها تسمية المغول التي ينتسب إلى احدها جنكيزخان مؤسس الإمبراطورية المغولية والمغول على حدّ قول رشيد الدين الهمذاني هم من جنس الترك فيقول ((التتار والمغول يعدون من قبائل تركية متباينة...حيث إن المغول كانوا في القدم قبيلة واحدة من مجموع القبائل التركية))[81].

وفي مكان آخر يشير ((ومع أن الاتراك والمغول وشعبهم يتشابهون أطلق عليهم في الأصل لقب واحد فإن المغول صنف من الأتراك وفيهم تفاوت واختلاف))[82] وسبب ذلك الاختلاف يرجع إلى تنوع البيئات التي عاشوا فيها.

ويؤيد العديد من المؤرخين ما ذهب إليه رشيد الدين الهمذاني في أن أصل المغول من جنس الترك [83] وينتسبون بلهجاتهم إلى الأسرة اللغوية التائية أي

---

(80) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص114.

(81) جامع التواريخ، م1، ج1، ص102-103.

(82) الهمذاني: جامع التواريخ (الايلخانيون – تأريخ هولاكو) ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، 1960م، م2، ج1، ص212.

(83) ابن الأثير: الكامل في التأريخ، ج 12، ص361. ابن العميد، المكين جرجيس: أخبار الايوبيين، تحقيق كلود كاهن، دمشق، 1958م، ص28. قزويني، حمد الله بن أبي بكر بن محمد بن نصر مستوفي: تأريخ كزيدة باهتمام عبد الحسين نوائي، مؤسسة انتشارات أمير كبير، تهران، 1339هـ. ش، ص 562. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص82. الغساني، الملك الاشرف: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث، بيروت، 1975م، ص370. سرهنك: حقائق الأخبار، ج2، ص165.

التركية المغولية[84] وموطن المغول الأصلي هي سهول الضفة الجنوبية لنهر أمور غربا من مصب نهر سونغاري وشرقاً من سلسلة جبال خينجان الصغرى ضمن أرض منغوليا[85] ثم ما لبثوا أن تعرضوا لعمليات هجرة وتنقل لأسباب سياسية أو لدواعٍ تتعلق بطبيعة حياتهم كبدو رحل [86] بحيث غدت هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي وجنوب بحيرة بيكال من أهم مناطق انتشارهم خلال الفترة التاريخية التي عاصرت تكوين إمبراطورية جنكيزخان[87].

وقد ضم شعب المغول قبائل كثيرة العدد [88] يصعب التمييز بينهم لكثرة بطونهم واتساع رقعة أراضيهم المفتوحة فبينهم قبيلة اويرات التي كانت تعد من القبائل المغولية الكثيرة العدد ومناطق انتشارهم بين نهر اونون وبحيرة بيكال [89] ومنهم كذلك جاجيرات وايكراس وبارين وقيشلق وايشلان ودوريان وسالجيوت وجلاير وأسماء أخرى [90]. غير أن أكثرهم شهرة قبيلة قيان [91] التي يقول عنها

(84) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج3، ص355.
(85) رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص410.
(86) عن عمليات تهجيرهم ينظر مبحث التأريخ المبكر للمغول.
(87) الصياد: المغول في التأريخ، ص 30–31. قداوي، علاء محمود: المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، 1985 م،وبأشراف أ.د. محمود ياسين التكريتي، ص 46 . الحنون، مصطفى هاشم عبد العزيز: الصراع بين الممالك والقوى السياسية في المشرق الإسلامي بين (658 –856 هـ / 1258–1452م)، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى عمادة كلية الآداب جامعة الموصل، 2007 م بإشراف د. علاء محمود قداوي، ص19.
(88) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص69 ،337. إقبال: تأريخ المغول، ص48.
(89) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص337. إقبال: تأريخ المغول، ص48.
(90) للاطلاع على مزيد من أسماء هذه القبائل إضافة إلى ما ذكرناه في المتن ينظر العزاوي، عباس: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص65–68.
(91) قيان: اختلف لفظ هذه القبيلة لدى المؤرخين فمنهم من يسميها قيان وآخرون بقيات وهذا الاختلاف في اللفظ نلاحظه على العديد من التسميات المغولية وسببه يرجع إلى اختلاف

الجويني إنها أكثر أصالة بين قبائل المغول كون تيموجين ينتسب إليها[92] وهذا ما سنفصل الحديث عنه ضمن المبحث التالي إن شاء الله.

ألسن المترجمين أو بسبب التحريف عند النقل من المخطوطات الأصلية وعن لفظ هذه القبيلة ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص69. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص118. القلقشندي: صبح الاعشى، ج 4، ص310. القرماني: أخبار الدول، ص284. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص346.

(92) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص69.

2- تيموجين والكفاح من أجل الزعامة

ينتسب تيموجين إلى قبيلة قيان المغولية [93] وقيان هو الجد الأعلى لهذه القبيلة التي سميت بآسمه. وهناك من يرجع نسب قيان إلى تيكز خان بن منكلي خان الذي ينتهي نسبه باوغزخان [94] وأوغوزخان من سلالة يافت بن نوح عليه السلام فهو البطل الأسطوري للأتراك الذين نسب إليهم المغول[95].

ويشير الرمزي إلى أن تيكزخان كان زعيماً لقومه حدث على عهده وعهد ابنه أيل خان حرب طاحنة مع قبيلة التتار دامت مدة طويلة وانتهت بمقتل أيل خان واستئصال عساكره فاستولى التتار على جميع مناطق نفوذ أيل خان فنهبوا أموالهم واسروا نساءَهم وأولادهم حتى لم يبقَ نفر واحد منهم على حريته بل صار كلهم عبيداً مملوكين للتتار[96].

وكان من جملة من اسروا واحد من أبناء أيل خان يسمى قيان الذي تمكن من الهرب مع زوجته وابن عمه نكوز إلى جبال ارغون كون بعيداً عن التتار فأقاموا في هذا المكان امنين وتناسلوا وكثروا وصار لا يسعهم هذا المكان فاضطروا بعد أن عاشوا فيه زمناً طويلاً على مغادرته إلى الأماكن السهلية وعلى ما يبدو أن انتشارهم ثانية في المناطق الفسيحة من منطقة ارغون كون جعلهم من

---

(93) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص69. صفا ذبيح الله: تأريخ أدبيات در إيران، تهران، 1338 ش، ج5، م1، ص4. عبد الحكيم، منصور: جنكيز خان امبراطور الشر وقاهر العالم، دار الكتاب العربي، دمشق، 2008م، ص57-58.

(94) الرمزي: تلفيق الاخبار، ج1، ص344.

(95) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص53-58-60. قداوي: تأريخ العراق في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، 1993م، وبأشراف أ. د. عبد المنعم رشاد، ص45.
Minorisky V.: The Qara Qoyunluand The Qutbshah, " Bulletin of the school of Oriental and African studies" University of London, 1955, Vol. XVII, Part 1, p. 53

(96) تلفيق الأخبار، ج1، ص344 – 345، وينظر كذلك العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص63-64.

جديد وجهاً لوجه أمام التتار فلم يكن أمامهم إلا القتال، هنا ادركوا أن هزيمتهم تعني الموت ولهذا قاتلوا بضراوة تحت زعامة أميرهم برته جينه الذي انتصر على التتار وكسر شوكتهم واسترد ما كان قد أخذوه وانتزعوه من أسلافهم وما كان لهم من أملاك واشتدت شوكتهم بين القبائل(97).

توالى على زعامة قبيلة قيان بعد برته جينه عدد من أبنائه وأحفاده منهم دوبن بيان وهو الزعيم الثاني عشر لكنه توفى دون ان يترك وريثاً فخلفه ابن زوجته بوزنجران الذي ينتسب إليه تيموجين ((جنكيزخان)) وجميع خانات المغول (98).ويطلق على ذرية هؤلاء الزعماء من نسب بوزنجران تسمية نيرون وتعني الأصيل أو عالي النسب أو عائلة النور (99)، وهذه التسمية على ما يبدو جاءت تشبهاً بالتسمية التي كانت تطلق على أسرة إمبراطورية الصين تاي توزون(100).

أعقب على زعامة قبيلة قيان بعد بوزنجران عدد من الزعماء المنحدرين من نسبه ثامنهم كان اسمه بارتان (101) ليتولى من بعده الزعامة والد تيموجين يوسكاي(102).

---

(97) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص345. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص64.

(98) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تعليق محمد بن تاويت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 360. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص310. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص346. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص70. والهامش رقم (5). كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص18–19.

(99) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص346.

(100) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص20.

(101) عن أسماء الزعماء الثمانية على قبيلة قيان والمنحدرين من نسل بوزنجران هم على التوالي بوقا، دوتومين، قيدو، باسنقر، تومنه، قبل، قوبلة ليخلفه بعد ذلك بارتان، ينظر الرمزي: تلفيق الاخبار، ج 1، ص347. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 31، وأشار إلى هذه الأسماء قزويني والقلقشندي مع وجود بعض الاختلاف في لفظ بعض الأسماء، تأريخ كزيدة، ص580 – 581، صبح الأعشى، ج4، ص310.

ويوسكاي يصفه بعضُهم بأنه كان رئيس أسرة بورجقين من قبيلة قيان وليس زعيماً للقبيلة[103] وآخر يصفه بأنه كان أميراً على عدد قليل من الجند يعمل تحت إمرة زعيم آخر[104] غير أن حقيقة أمره انه كان زعيماً لقبيلة قيان[105] فضلاً عن انه كان أميراً على ثلاث عشرة قبيلة مغولية متحالفة معه[106]، وهذا ما يفسر تحالفه مع زعيم قبيلة الكرايت الأمير طغريل((اونك خان)) فلو كان زعيماً لأسرة أو لعدد قليل من الجند لما تحالف معه زعيم بمستوى قبيلة الكرايت ذات النفوذ الواسع بين قبائل منغوليا وبمساعدة يوسكاي احتفظ طغريل ((اونك خان)) بزعامة قبيلة الكرايت التي كانت قد تصدعت وحدتها بسبب الصراعات الداخلية على مراكز النفوذ[107] كما انه لو كان ضعيفاً لما امتنع عن دفع ضريبة الخراج التي كان يدفعها أبوه لأباطرة الصين الشمالية[108].

قضى يوسكاي حياته كلها في قتال مستمر دفاعاً عن أملاكه وقد نال شهرة واسعة بين أقرانه من زعماء القبائل سيداً مهاب الجانب، ويذكر أن العديد من القبائل كانت تؤدي الخراج له[109].

---

(102) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص347.
(103) العريني: المغول، ص42. عبد الحكيم: جنكيزخان، ص57.
(104) شبولر: العالم الإسلامي، ص22.
(105) إقبال: تأريخ المغول، ص57، صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص4.
(106) الصدفي، رزق الله منقريوس: تأريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال بمصر، 1907م، ج 2، ص267، اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص 190. لامب، هارولد: جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ترجمة بهاء الدين نوري، مطبعة سكك الحديد العراقية، بغداد، ص10، العريني: المغول، ص44.
(107) رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص411. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص4.
(108) إقبال: تأريخ المغول، ص57. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص4.
(109) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص74. لامب: جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ص10.

رزق يوسكاي بأربعة أولاد من زوجته ويلون أطلق على البكر منهم اسم تيموجين تخليداً لذكرى انتصار يوسكاي على خصمه الذي كان يسمى بهذا الاسم[110] وكان مولد تيموجين الذي يعني الحديد [111] سنة (549هـ / 1155م) وهناك من يذكر أن ولادته كانت في سنة (561هـ/1167م)[112] ولم نستطع أن نرجح أيهما الأصح لافتقار كلا الرأيين إلى أدلة قاطعة أو شواهد تاريخية ولكن اغلب المصادر والمراجع ترجح سنة (549هـ/ 1155م) دون أن تذكر الأسباب[113].

وما أطلع عليه عن طفولة تيموجين لا يعدو قصصاً قليلة فتذكر الروايات أن إحدى يديه عند ولادته وجدت مقبوضة على قطعة متجمدة من الدم فلما تداول الحاضرون الحديث عن غرابة ذلك قال احدهم أن هذا الطفل سوف يكون ملكاً

(110) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج 3، ص360. القزاز، محمد صالح داؤد: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970 م، ص109–110. بيان، ف: جنكيزخان سفاح الشعوب، ترجمة صوفي عبد الله، دار الهلال بمصر، 1951 م، ص10. الصياد: المغول في التأريخ، ص40.

(111) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ترجمة متري أمين، مكتبة الانجلوالمصرية، 1962 م، ص9. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5،م1، ص4.

(112) بروي: تأريخ الحضارات العام، ج 3، ص360. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص189. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص409. صفا: تأريخ ادبيات در ايران ج5، م1، ص4.

Spuler,Bertold:Die Golden Horde Die Mongol in Rubland,Wie Sbaden,1965, p,615-616.

(113) قزويني: تأريخ كزيدة، ص 581 الرمزي: تلفيق الأخبار، ج 1، ص347. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص73. الصياد: المغول في التأريخ، ص 15. فامبري: تأريخ بخارى، ص162. صفا: تأريخ أدبيات در إيران ج 5، م1، ص4. هوخام: تأريخ الصين، ص219. أبو مغلي، محمد وصفي: إيران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1985م، ص223.

عظيماً وسوف تظهر على صفحة جبينه آثار الغزو والسيطرة والاستعداد على سفك الدماء[114].

والحادث الأول الذي يذكر عنه، قتله أحد أخوته لسرقة سمكة منه، هذه الحادثة التي جعلت أمه تصفه بالوحش الضاري [115] أعطت دلالة على انه كان مؤمناً بقوته وبقدرته على انتزاع حقوقه من الآخرين حتى لو كان الآخر أخاه، وكان في طفولته يصغي إلى قصص والده وبطولات اجداده [116] فتشرب منها ببسالة جعلت منه رجلاً حديدياً لا يهاب الموت.

ولما بلغ تيموجين التاسعة من عمره صحبه والده لزيارة أخواله فالتقى في أثناء الرحلة بأحد زعماء المغول القنقرات فتنبأ لتيموجين بمستقبل باهر وحرص على ان يزوجه من ابنته بورته التي لم تتجاوز وقتذاك العاشرة من عمرها وهكذا تمت الخطبة في اليوم الثاني[117].

(114) خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، كتبخانة، خام، تهران، 1333ش، ج3، ص16. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص73. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص85–87. هوخام: تأريخ الصين، ص220.

(115) لامب: جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ص10. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص116.

(116) عن هذه القصص التي ساهمت في تكوين شخصيته ينظر. لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص14–15، جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ص10–11.

(117) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص337. لامب: جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ص11–13. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190.

توفي يوسكاي مسموماً على يد أحد أعوانه ولأسباب مجهولة [118] تاركاً ابنه تيموجين في الثالثة عشرة من عمره[119] ينتظر مصيره الغامض إذ انفض منه أكثر الأقارب والأتباع واستغلت قبيلته صغر سنه ورمته بالضعف ورفضت زعامته واعلنت التمرد والعصيان[120].

ورغم نشاط امه ويلون ورجاحة عقلها وبعد نظرها فقد تخلى عنه أيضاً من بقي من أتباع أبيه وحملوا معهم قطعانهم وانضموا إلى قبيلة التايجوت خصوم والده يوسكاي[121] مبررين عملهم هذا بالقول ((إن الرباط القوي الذي كان يمنحنا القوة والمنعة قد ذهب والصخرة التي كنا نحتمي وراءها قد تحطمت ولم يبق غير المرأة وأطفالها فما بالُنا وإياهم))[122].

وأخذت عرباتهم المحملة تتدحرج خارجة من المخيم، فقد خشوا ان يتركوا مصائرهم ومصائر أسرهم بين يدي امرأة وصبي غير محنك مثل تيموجين[123].

ساءت أحوال أرملة يوسكاي وأطفاله بعد وفاته وصارت هذه المجموعة تعيش على صيد الحيوانات والأسماك ولما كان تيموجين هو الابن الأكبر فقد كان عليه أن يقرر ماذا ينبغي ان تفعل الأسرة وبعد تفكير عميق انبأ تيموجين أمه انه

---

(118) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص21. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص412. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص 190. عمران: المغول واروبا، ص32. أبو مغلي: إيران دراسة عامة، ص223.

(119) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج 1، ص348. إقبال: تأريخ المغول، ص 57. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص4. ابو مغلي: إيران دراسة عامة، ص223.

(120) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص21. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص267. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص30.
Vladimircov, B.Y.: CenGizhan, Ceviren, Hasan AliEDiz, Bilim ESER LERi SERiSi, p14-15.

(121) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص348.

(122) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص 16. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190.

(123) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص16. الصياد: المغول في التأريخ، ص42.

قرر أن يأخذ مكان والده يوسكاي المتوفى في الزعامة ومع هذا القرار أن على الأسرة أن تدافع عن نفسها لاستعادة الزعامة بمحاربة الأعداء [124] وفي ظل هذه الظروف الحالكة كان أمامه خيار الالتجاء إلى حليف والده زعيم قبيلة الكرايت طغريل ((اونك خان)) الذي سبق ليوسكاي أن ساعده على تثبيت زعامته حيث كان بين يوسكاي وطغريل قسم يمين الصداقة والأخوة وهو قسم يورث ولد الفريق الواحد حق مراجعة الفريق الثاني وطلب المعونة ولكن أبى تيموجين الاستعانة بطغريل بقوله ((إني في ذهابي مستعطفاً فارغ اليد لذل لا قوة))[125].

وهكذا تمسك بحزمه وعزمه وخلال ذلك أغار أعداؤه على مخيمهم وسرق المغيرون ثمانية أفراس من أصل التسعة التي كانوا يملكونها، وأصر تيموجين على أن يطارد اللصوص وبعد أربعة أيام التقى بغلام اسمه بورتشو أحس بالميل والرغبة بمساعدة تيموجين فاشترك معه في البحث عن الأفراس حتى عثروا عليها فساقها إلى مخيمه وبذلك اظهر تيموجين براعة في مراماة أعدائه وإجبارهم على أن يتخلوا عن اللحاق به ليقوم هو بالإغارة عليهم وليسقط عدداً منهم قتلى وما انقضت سنوات حتى بدأ الناس يرددون أن قوة تيموجين ورفاقه أخذت لا تبارى حين بلغ عدد من يتبعه أكثر من مائة محارب مجهزين بعدة حرب كاملة ويمتطون خيولاً سريعة يستخدمونها في الإغارة على الأعداء[126].

ولما بلغ تيموجين السابعة عشرة من عمره حاول لأول مرة أن يتخذ من أصدقاء والده حلفاء له وعلى اقل تقدير أمكنه أن يذهب إليهم لا متسولاً بل زعيماً له أتباع من الفرسان وكان أول شيء فعله قيامه برحلة يطالب فيها بزوجته – تلك الصبية التي سبق وان اتفق على الزواج منها على عهد والده ولكن وفاة والده

(124) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص 16. شبولر: العالم الإسلامي، ص 22. فهمي: تأريخ الدولة المغولية، ص30.

(125) اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص 191. لامب: جنكيز خان إمبراطور الناس كلهم، ص16–17، 23. فهمي، تأريخ الدولة المغولية، ص31.

(126) العريني: المغول، ص45–46. كيتشانوف: حياة تموتشجين، ص9–10. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص23–30.

المفاجئة أحالت دون زواجه آنذاك وقد أدهش زعيم قبيلة القنقرات الذي كان والد خطيبته بورتة حيث قال لتيموجين ((عن ما بلغنا قيام عدد كبير من الأعداء ضدك لم نتوقع البتة أن نراك حياً مرة ثانية))[127].

وبعد الترحيب وحفلة الزواج اخذ تيموجين زوجته ليواصل حنكته وشجاعته وصبره في تثبيت زعامته التي اجتذب إليها كبار شخصيات قبيلته[128].

أما أولئك الذين رفضوا الانصياع فأنه اصطدم بهم واشتبك معهم في قتال عنيف انتصر فيه عليهم في آخر الأمر وبهذا الانتصار دان له كل أفراد قبيلته قيان ليغدو بعد ذلك سيداً عليها[129].

3- الانتصار على حليف الأمس

رغب تيموجين بعد أن استعاد الزعامة على قبيلته في تجديد التحالف الذي سبق لوالده يوسكاي ان أقامه مع طغريل ((اونك خان)) زعيم قبيلة الكرايت ذات النفوذ الواسع والعدد الكبير من الرجال.

وهدفه من التجديد هو تعزيز موقعه بين قبيلته والقبائل الأخرى الطامعة بمناطق نفوذه كما أن هذا التحالف سيعطيه القوة إذا ما رغب في توسيع نفوذه خارج نطاق مراعي قبيلته، كما سيؤمن له الحماية من أية محاولة انتقامية قد يلجأ إليها حكام الصين الشمالية ضده والذين سبق وان تمرد عليهم يوسكاي والد تيموجين ورفض دفع ضريبة التبعية لهم[130].

ومع أن اونك خان لم يكن بحاجة إلى التحالف مع تيموجين بحكم انه أصبح السيد على معظم أراضي منغوليا بدعم من حكام الصين الشمالية، غير ان

---

(127) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص30. جنكيز خان إمبراطور الناس كلهم، ص21. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص102. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص190 – 191.

(128) الصياد: المغول في التأريخ، ص45. لامب: جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ص 20. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص75.

(129) ميرخواند: تأريخ روضة الصفا، م5، ص48.

(130) عن تمرد يوسكاي على حكام الصين الشمالية ينظر، إقبال: تأريخ المغول، ص57.

عامل الوفاء هو وحده الذي كان وراء قبول اونك خان بتجديد التحالف إذ لم ينسَ اونك فضل يوسكاي عليه عندما ساعده في تثبيت سلطته على قبيلته الكرايت ضد المنافسين له على الزعامة [131] فرداً للجميل قبل بالتحالف حيث غمر تيموجين بعطفه وتوطدت بينهما أواصر الود والصداقة[132].

كان تيموجين بعيد النظر بتجديد التحالف، إذ لم يمض سوى زمن قصير عليه حتى أتى بؤكله، حدث ذلك عندما زحفت قبيلة المركيت المتوحشة برجالها الأشداء [133] على مضارب قبيلة تيموجين للأخذ بثأر قديم مضى عليه ثمانية عشر عاماً تمثل بعملية الخطف التي سبق ان تعرضت لها ويلون المركيتية من قبل يوسكاي الذي تزوجها فأنجبت له تيموجين، فلم ينسَ المركيت مظلمتهم هذه فجاءوا مغيرين ليلاً والقوا المشاعل الملتهبة على خيام قبيلة تيموجين، نجا تيموجين بأعجوبة هارباً على صهوة جواده، أما زوجته بورتة فوقعت أسيرة حيث سبيت بان أعطيت لقريب من العائلة التي كانت قد سبيت منها ويلون[134].

لم يتمتع المركيت بفرح الانتصار طويلاً إذ توجه تيموجين إلى اونك خان طالباً منه العون فانجده بقوة كبيرة انضم إليها صديقه الحميم جاموخا، وعند ذاك انحدر في ليلة مقمرة على خيام المركيت يصرخ بأعلى صوته وهو على ظهر جواده باسم عروسه متنقلاً بين الخيام المبعثرة، ما لبثت بورتة أن توجهت نحوه بعد

(131) العريني: المغول، ص 50. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص545.

(132) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 96. قزويني: تأريخ كزيدة، ص572. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص310. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج 2، ص267.

Vladimircov: CenGizhan, p. 48-49.

(133) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص340.

(134) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص 96. لامب: جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ص23–24. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص412.

أن سمعت صوته ليمسك بها وينادي رفاقه قائلاً ((أنني عثرت على ما كنت انشد)) وعاد بها إلى دياره[135].

لم تتوقف مساعدة اونك خان لتيموجين عند هذا الحد بل ساعده في التصدي لثلاثين ألف مقاتل من قبيلة التايجوت التترية فأمده بعدد كبير من الفرسان ليصبح عدد من انضوى تحت قيادته من رجالات الكرايت ورجالات قبيلته ثلاثة عشر ألف مقاتل ليظهر بهم براعته في فنون القتال في المعركة الحامية الوطيس التي وقعت مع التايجوت، فحسن إدارته للمعركة كانت وراء تجاوزه لمشكلة الفرق العددي بين الجيشين حيث حقق انتصاراً باهراً وقتل من التايجوت أكثر من ستة آلاف قتيل فضلاً عن عدد كبير من الأسرى، منها سبعون أميراً علقت سيوفهم في رقابهم وهم مقيدون بقصد الاهانة ليأمر تيموجين بعد ذلك بقتلهم بطريقة غريبة بشعة بغليهم في القدور وهم أحياء[136]. وهذه قسوة لا يمكن تصورها ومع ذلك أصبحت طريقةً غدا زعماء المغول يستخدموها ضد أعدائهم من غير المغول ممن ينحدرون من اسر ملكية[137].

---

(135) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص111–117،112.

(136) الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج 2، ص267. لامب: جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص23–26.

(137) من الطرق القاسية في القتل ما استخدمه هولاكو في قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله حيث وضعه في كيس ورماه تحت إقدام الخيل حتى مات والثاني بقتله أيضاً للملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل عندما أمر بوضعه في جلد شاه مليء بالدهن ومربوط بالحبال بإحكام حتى رأسه ومن ثم ألقاه تحت أشعة شمس الصيف الحارة فتحول الدهن بعد أسبوع إلى ديدان أخذت تلهم جسده بشكل تدريجي حتى توفي بعد مضي أيام، عن ذلك ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ، م 2، ج1، ص293–294، 330. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة العربية، بغداد، 1932م، ص347. الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م، ج2، ص231. ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص201.خواندمير، حبيب السير، ج1، م3، ص101

ازدادت مكانة تيموجين بين القبائل بعد هذا الانتصار كما أخذ الخطأ يقفون إلى جانبه فقد أرسل إمبراطور الصين الشمالية جيشاً إلى منغوليا لمعاقبة اقرب القبائل الرحل إلى سور الصين والقاطنين حول بحيرة بويار فانتهز تيموجين الفرصة للتدخل في الأمر فلما تقهقرت هذه القبائل أمام جيش الصينيين الذي كان معظمه من المشاة يصعب عليهم اللحاق بفرسان البدو الرحل – انقض تيموجين والكرايت عليهم وحطموا قوتهم فاضطروا إلى الاستسلام لتيموجين وقد ادخل هذا النصر الرعب في قلوب أعدائه الأقوياء وكان الرسل ينتقلون من مكان إلى آخر على ظهر خيولهم وهم يحملون النبأ الذي فحواه أن تيموجين يسعى حثيثاً لينصب نفسه سيداً على سكان منغوليا جميعاً[138] ولم يستسغ قواد الكرايت هذا النبأ وكان من بينهم ابن اونك خان الذي كان يخشى نفوذ تيموجين على والده[139].

وفي المقابل لم تكن نوايا تيموجين بعيدة عن الرغبة في تحقيق هدف توحيد القبائل المغولية تحت زعامته فكان يعقد التحالفات السرية مع بعض زعامات القبائل ذات النفوذ الكبير بهدف الإيقاع بأونك خان[140]، لأنه كان يعتقد بأن اونك خان يقف في طريق تحقيق حلمه بزعامة القبائل، ومع ان اونك خان كثيراً ما كان يكذب الشائعات التي كان رجالات الكرايت يحرضونه للإيقاع بتيموجين وكان يقول لهم ((إن يوسكاي وابنه تيموجين قد صنعا جميلاً معنا فإذا لم يتجاوز علينا فلا نقدر ان نعتدي عليه))[141] غير انه في النهاية صدق خبر ما نقل له ابنه شنكون

Howorth Henry H.: History of the Mongol from the 9th to 19th century, Bart Franklin, New York, vol.3, p.128. Saunders: A history of Medieval Islam , London and Boston , 1972 , p.182.

(138) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.

(139) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.

(140) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص118. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4،ص311. بروي: تأريخ الحضارات العام، ج 3، ص360. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 158. عمران: المغول واوربا، ص32.

(141) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.

((سانغون)) ان تيموجين اتفق خفية مع تايانك خان زعيم قبيلة النايمان وبويوروق زعيم قبيلة اخريم [142] وبتأثير من قوله هذا اخذ اونك خان يتوجس خيفة من تيموجين فدبر مكيدة للايقاع به، وذلك بتقديم أميرة من الكرايت للزواج من جوتشي شقيق تيموجين[143].

ومع ان تيموجين لم يثق في صدق النوايا ولكنه لم يستطع ان يرفض عرض الزواج، ولذلك اضطر التوجه إلى مخيم اونك مصطحباً تيموجين أخيه جوتشي إلى عروسه وفي نيته ان يأخذ معه بعض حيوانات الصيد التي يقتلونها في الطريق هدية إلى اونك خان، وبهذا لم يكن تيموجين متأهباً للحرب عندما اتجه إلى اونك وبذلك خُدع ووقع في الفخ [144]، غير أن الأقدار وحدها كانت كفيلة بإنقاذه عندما هيأت له غلامين [145] من أصحاب اونك خان ليطلعاه على المكيدة[146] فحرف طريقه لينجو بأتباعه في الوقت المناسب ولما تعقبه اونك خان

(142) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1، ج2، ص123. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص310 – 311. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص76، 80–81. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 178. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص 58. الصياد: المغول في التأريخ، ص 46. شبولر: العالم الإسلامي، ص 23. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص12. الجاف، حسن: الوجيز في تأريخ إيران، بيت الحكمة، بغداد 2003م، ج2، ص279.

(143) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.

(144) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص77. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص59.

(145) كافأ تيموجين هذين الغلامين بعد انتصاره واستقرار أمره بأن منحهما لقب الطرخان والطرخان هو الرجل الحر المعفو من الضرائب والذي لا يخضع للعقاب حتى يذنب تسع مرات عن ذلك، ينظر ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص18–19.

(146) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 418. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص118.
القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص310 – 311.

بقواته وقعت الحرب بينهما انتهت بهزيمة اونك [147] الذي هرب ملتجأ إلى بلاط تايانك خان، لكن ما لبث في الطريق أن اغتيل على يد بعض أصحابه وذلك في شهور سنة (599هـ/ 1202م)[148] أما قبيلته فقد استبيحت وسبيت نساؤهم بما فيها نساء وبنات اونك خان[149] في حين عرض على من بقي من فرسان الكرايت أن ينظموا تحت لوائه قائلاً ((لقد حاربتم كالأبطال لحماية سيدكم وإنقاذه وألان لكم أن تنظموا إلى جيشي وتعملوا تحت إمرتي)) فوافقوه وقد اهتم تيموجين بهذه القوى البشرية التي تمكنه ان ينتفع بها بل وقدرها أكثر من الغنائم المادية التي حصل عليها من المخيمات الغنية [150] وبهذه الواقعة طويت صفحة الصراع مع حليف الأمس لتبدأ صفحة القضاء على من تآخى معه.

4- تيموجين – جاموخا وانفراط عقد الاخوة

ينتسب جاموخا إلى قبيلة جاجيرات المغولية ذات الأصول التركية ومنذ طفولته ارتبط بتيموجين بعقد الأخوة حيث الاثنان عاشا صباهما معاً في لهو ولعب وكان دائماً تيموجين ينادي جاموخا بالاخ[151].

(147) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1، ج2، ص126. قزويني: تأريخ كزيدة، ص 581. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج 2، ص267–268. عمران: المغول واوربا، ص 33. عبد الحكيم: جنكيز خان، ص58، 62.
Vladimircov: CenGizhan, p. 50–51.

(148) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 1966 م، ص22. الرمزي: تلفيق الأخبار،ج 1، ص348 والحاشية رقم (1). فامبري: تأريخ بخارى، ص162–163.

(149) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 418. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص118. القرماني: أخبار الدول، ص 284. الصدفي: تأريخ دول الإسلام،، ج 2، ص268. عمران: المغول واوربا، ص33.

(150) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص65. عبد الحكيم: جنكيز خان، ص62.

(151) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 111–115–117. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76. العريني: المغول، ص47

وعقد الأخوة ارتباط اجتماعي عرفه المغول قديماً وكان شائعاً زمن تيموجين يتعهد فيها المتعاقدان بالدفاع احدهما عن الآخر عند المحن ويتم ذلك بصيغ رمزية بإهداء احدهما للآخر هدية كرمز للأخوة، وتيموجين عندما كان ابن احد عشر عاماً قام أخوه جاموخا بإهدائه عظمة رسغ ايل فبادله تيموجين بدوره بعظمة مماثلة، وهكذا اصبحا اخوين وتجدد عقد الأخوة ثانية بعد عام بأن وهب جاموخا سهمه المميز المصنوع من قرن الايل لتيموجين والذي بدوره أهدى جاموخا سهماً مصنوعاً من كوز العرعر[152].

وهكذا تأصلت العلاقة بينهما زمناً إلى حين حادثة غزوة المركيت التي سبق الإشارة إليها والتي اشترك فيها جاموخا، اذ فيها انتاب تيموجين الخوف من أطماع جاموخا وكان له مبرراته منها أن جاموخا بدلاً من البحث عن زوجة تيموجين انشغل هو وأتباعه في الحصول على الغنائم[153].

وهذا ما أثار حفيظة تيموجين الذي شعر لأول مرة أن جاموخا غدا منافساً قوياً له ولاسيما أن اونك خان جعل من جاموخا بعد غزوة المركيت من اكثر المقربين له واخذ يفضله على تيموجين، وكان تيموجين محقاً في تقييمه، اذ كان جاموخا اكثر الأمراء تحريضاً لأونك خان ضد تيموجين طمعاً بالزعامة [154]وكثيرا ما كان يلتقي بابن اونك خان المدعو شنكون (سانغون) ليوغر صدره ضد تيموجين وكان يقول له ((لم يكن احد واقفاً على أسرار – تيموجين – مثلي لأني

(152) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 120–121.والعرعر: شجر يقال له السامم ويقال له الشيزري ويقال: هو شجر يعمل به القطران، ويقال: هو شجر عظيم جبلي لا يزال اخضر تسميه الفرس السرو وقال أبو حنيفة: للعرعر ثمر امثال النبق يبدو اخضر ثم يبيض ثم يسود حتى يكون كالحمم ويحلو فيؤكل واحدته عرعرة وبه سمي الرجل. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، ط 1، بيروت، 1990م، م4، ص560.

(153) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص112–113.

(154) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1، ج2، ص123. العريني: المغول، ص 51. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص178.

من أقاربه والصق الناس به خصوصاً أننا عشنا سوية....)) وأنني اعلم انه يخطط للقضاء عليكم [155]وبتأثير من قوله حدثت المنافرة بينهما والتي انتهت بانتصار تيموجين ومقتل اونك خان[156].

شعر جاموخا ان انتصار تيموجين لا يعد خسارة له، إذ أن مقتل اونك خان ازال عقبة عنه للزعامة ليتفرغ للخصم الأكبر تيموجين.

عرف جاموخا بالججن، والججن باللغة المغولية تعني الداهية [157] فبدهائه تمكن من تخويف الكثير من القبائل المغولية من أطماع تيموجين فانضمت إليه قبائل الجاجيرات والتايجوت والقنقرات وطائفة من التتار [158] كما اخذ العديد من أتباع تيموجين ينسلون خفية إلى معسكر جاموخا[159] واخذ هؤلاء جميعاً ُ يطلقون على جاموخا لقب كورخان وهو لقب يطلق على زعيم القبائل التركية الغربية [160]إذ كانت هذه القبائل تقطن إلى الغرب من مناطق نفوذ تيموجين.

وعلى الرغم من هذه المتغيرات لم يَقُمْ كلا الزعيمين بتحركات عسكرية مباشرة ضد الآخر فبقي طوال السنة والنصف يتوجس احدهما الآخر الخيفة مبقين الاتصالات وتبادل الهدايا بينهما بهدف التحايل[161]والاستعداد ليوم الحسم الذي لا محال من وقوعه والذي حدث فعلاً اثر حادثة مقتل تايتشار الأخ الأصغر لجاموخا على يد احد اتباع تيموجين ونهب قطيعه فكان ذلك مسوغاً لجاموخا لإعلان الخصومة والثأر لمقتل أخيه فتهيأ للمعركة التي اشترك فيها من كل طرف قرابة

(155) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.
(156) رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص415. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.
(157) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1، ج1، ص190. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 111. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص76.
(158) العريني: المغول، ص50 –51. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص164.
(159) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص163–164.
(160) العريني: المغول، ص51. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.
(161) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص123.

الثلاثين ألف مقاتل والتي دارت في منطقة دالان بالتشجوت في أعالي نهر اونون تكبد فيها كلا الطرفين خسائر فادحة دون أن تحسم لأحدهما [162]وهنا يشير رشيد الدين الهمذاني كيف أن كلا الطرفين تفننا في قتل أسرى الآخر ولاسيما تيموجين الذي أمر بوضع الأسرى في القدور التي على النار حيث سلق فيها أعداؤه وهم أحياء وبالمثل فعل جاموخا[163].

وهنا أخذ كلا الطرفين يعمل على جمع قواه انتظاراً للجولة القادمة وفيها أخذ أنصار جدد ينضمون إلى تيموجين كما انضم إليه أربعة أمراء مؤثرين [164] منهم القائد تشاجي والساحر مونليك الذي أعلن بأن تيموجين ما هو إلا بشير من السماء الخالدة للأبناء كافة [165] ومعلوم أن المغول هم أكثر الشعوب تأثراً بأقوال السحرة بحكم طبيعة أرضهم القاسية فكانوا يخافون الطبيعة ويستسلمون لأقوال السحرة الذين يرون فيهم القدوة في السيطرة عليها لذلك كانوا يرون فيما يقوله الساحر أمراً مفروغاً منه [166] ولهذا انضم إلى تيموجين أعداد كثيرة من الأنصار بفعل هذا الساحر الذي رأى في تيموجين القدرة على توحيد القبائل والانتصار على الخصوم[167].

وفي المقابل أخذت جبهة جاموخا تتصدع تدريجياً، وبقيت الحرب بينهما قائمة تمثلت بغارات خاطفة كان غالباً ما يقوم بها تيموجين بهدف إنهاك عدوه حتى وقعت المعركة الحاسمة سنة (600هـ/1203م) وفيها مني جاموخا بهزيمة قاسية اضطر فيها إلى الهرب متنقلاً بين خصوم تيموجين حتى وقع بعد مضي سنة على هروبه أسيراً [168] وهنا سأله تيموجين ما المصير الذي تتوقعه مني

(162) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص144.
(163) جامع التواريخ، م1، ج1، ص88. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص144.
(164) العريني: المغول، ص47.
(165) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص146.
(166) ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص250. الصياد: المغول في التأريخ، ص335.
(167) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص146.
(168) بارتولد: تأريخ الترك في آسيا الوسطى، ص154.

فأجابه جاموخا من غير تردد ((نفس الكأس التي كنت سأسقيك إياها – الموت البطيء))[169].

وكان جاموخا يقصد بالموت البطيء طريقة التعذيب الصينية وهي تقطيع الأوصال تدريجياً جزءاً جزءاً وتبدأ هذه العملية أول يوم ببتر مفاصل الاصابع الصغرى ثم تستمر بقطع الاطراف شريحة بعد أخرى، ولكن تيموجين مارس تقاليد قومه التي كانت تحرم اراقة دم زعيم قبيلة يجري في عروقه الدم الملكي، فاقتيد جاموخا طبقاً لذلك حيث أخمدت أنفاسه تحت ضغط أقمشة ثقيلة[170].

وهناك رواية غريبة يوردها الجويني عن بطل اسمه كورخان – كان في خدمة تيموجين ثم انحاز إلى المسلمين، فلما احتل المغول مدينة بخارى (617هـ/1220م) تم أسره – وكورخان هو لقب لجاموخا وإذا كان كذلك فهذا يعني أن علاء الدين خوارزمشاه قد ضمه إلى جانبه ليقاتل به بحكم خبرته وان مقتله حدث بعد ثمانية عشر عاماً من هزيمته على يد تيموجين[171].

5- تيموجين يواصل انتصاراته ويوحد منغوليا

بالقضاء على اونك خان وجاموخا توقع تايانك خان رئيس قبيلة النايمان أن يستهدفه تيموجين بحكم أن جاموخا كان من المقربين إليه لذا أخذ حذره وعمل على تقوية جبهته بأن ضم لها عدداً من زعماء القبائل المحالفين لتيموجين [172]، كما طلب من زعيم قبيلة اونغوت أن ينضم إليه غير أن هذا الزعيم أرسل سراً رسولاً عنه إلى تيموجين ليطلعه على ما عرض عليه تايانك خان، فاستعد تيموجين لمحاربته فوقعت الحرب بينهما سنة (600هـ/1203م)، وكانت من أكثر الحروب

(169) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص66

(170) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص66.

(171) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص116.

(172) قزويني: تأريخ كزيدة، ص 581. البرنباوي، محمد بيك النقشبندي: ملحق خلاصة السير :تحقيق ظهور احمد، لاهور، 1920م، ص35. الصياد: المغول في التأريخ، ص48. العريني: المغول، ص52.

التي خاضها تيموجين هولاً[173] انتهت بانتصار تيموجين على خصمه الذي وقع أسيراً ليقتل بذات الطريقة التي قتل أسلافه من الأمراء، كما أسرت زوجته التي سيقت إلى تيموجين حيث تزوجها[174].

ارتعدت فرائص بعض زعماء القبائل ممن كانوا يقطنون شرق بحيرة بيكال رعباً من انتصارات تيموجين وقرروا أن يكون تيموجين قائداً لهم [175] أما وقد قبل تيموجين زعامة القبائل الشرقية فلم يضيع شهراً واحداً في الانتظار فقد كان يعرف جيداً أن فرصته الوحيدة في النصر هي ان يضرب تلك الشعوب الغربية قبل ان يوحدوا صفوفهم في جيش واحد لا طاقة له بهم وهؤلاء التتار أشد أعداء المغول.

وكان التتار مطلع القرن السابع الهجري أكثر القبائل المغولية التي تعرضت لعمليات القتل الجماعي لشبانها على يد الصينيين الذين استخدموا معهم ما أطلق عليه بسياسة ((تقليص عدد البالغين)) وتكمن جوهر هذه السياسة في انه خلال كل ثلاثة أعوام تتوجه التجريدات العسكرية لإبادة التتار بقتل الشبان واخذ الأطفال أقنان ولهذا اندفع التتار بعيداً عن حدود سور الصين إلى الغرب من منغوليا[176] وتشير الروايات الصينية كما يوردها المؤرخ الروسي كيتشانوف من أن تيموجين كان ينفذ إرادة الحكام الصينيين ضد من يقوم بعمليات التمرد عليهم من التتار كما كان ينوب عنهم بحراسة الحدود ولهذا نال منهم لقب جاو – تخوري أي القائد وهذا اللقب يعد من الألقاب العظيمة لمن يناله من غير الصينيين وحامله من المقربين للبلاط الصيني[177].

ويبدو أن هدف تيموجين من عمله مع الصين لم يكن بقصد التعاون معهم بقدر ما كان محاولة منه لإضعاف التتار أعداء قبيلته التقليديين وفي ذلك يقول ((إن التتار هم أعداؤنا القديمون، أنهم قتلة آبائنا وأجدادنا لذلك لا نستطيع

(173) العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص82.
(174) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج1، ص97. قزويني: تأريخ كزيدة، ص581.
(175) لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص64.
(176) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص149– 152.
(177) حياة تيموتشجين، ص150–151.

الامتناع عن المشاركة مع الصين في الحملة ضدهم)) وقد جاءت مشاركته للصين في حملات عدة كان أولها يرجع إلى عام (593 هـ/1196م) أي قبل انهيار تحالفه مع اونك خان ذلك لان أولى مشاركته جاءت بعد أن طلب من اونك خان قائلاً ((حسب المعلومات التي نمتلكها فإن القائد الصيني فانغين تشي لينيان يتعقب بأعالي نهر اولتشجا جماعات من التتار وقائدهم ميغوتشجين سيلتو فدعنا ننضم اليه، فإننا نحن ايضاً ضد التتار هؤلاء قتلة آبائنا وأجدادنا يا والدي أيها الخان اونك)) رد اونك ((الحق معك يا بني فلنتحد))[178].

وبعد أن تجمعت القوات حاصروا مع القائد الصيني التتار وأبادوا معظمهم بما فيهم قائدهم سيلتو ونهبوا ماشيتهم وممتلكاتهم[179].

لم ينسَ التتار هزيمتهم على يد تيموجين لذلك انضموا إلى التحالف الذي كان يقوده جاموخا بعد مقتل اونك خان[180] فتشير المعلومات إلى ان قبيلة دوربين التتارية بقيادة زعيمهم التشي وتشجاليك بوخا مع رجالاته من التتر كانوا من جملة من أدوا قسم يمين الطاعة لجاموخا وشاركوا في منحه لقب كورخان وتعاهدوا مع جميع المتحالفين تحت قيادة جاموخا على قتال تيموجين وذلك سنة (598هـ/1201م)[181].

وقد أصاب التتار ما أصاب جاموخا من هزيمة وقتل وتشريد في معركة عام (600هـ/1203م)[182] التي سبقت الإشارة إليها.

ان ما حل بقبيلة دوربين التتارية من عملية إبادة لا يعني أن تيموجين اطمئن من باقي قبائل التتار وهم كُنُّر فقد استهدفته مجموعة كبيرة من التتار مكونة من قبائل تشاغات والتشي ودوتاوت والوخاي حيث قاتلهم ببسالة وتمكن من سحقهم

(178) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص150–151.
(179) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1، ج2، ص93. لامب: جنكيز خان وجحافل المغول، ص58.
(180) العريني: المغول، ص50–51.
(181) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص163–164. العريني، المغول، ص50–51.
(182) بارتولد: تأريخ الترك في اسيا الوسطى، ص154.

عند غابات الوخاي فلاقى معظمهم مصيراً مفزعاً هذا ما يشير إليه رشيد الدين الهمذاني بالقول ((أمر بالبطش العام بالتتار وبأن لا يترك احد حياً يزيد عمره على الحد المتفق عليه حتى النساء والاطفال والحامل من النساء تعص أرحامهن من أجل القضاء التام عليهم ولكي لا يكون لأي مخلوق أمكان مناصرتهم)) ومع ذلك نجا عدد ليس بالقليل بسبب تهاون شقيقه خاسار فمن اجل حبه لزوجته التتارية اعدم خمسمائة شخص فقط من الألف الذين أوكلوا إليه بإعدامهم ونتيجة لذلك حصل على توبيخ تيموجين بمنعه من حضور اجتماع الأمراء الذي كان ينعقد عندما تقتضي الضرورة لمناقشة أمر هام وشاءت الأقدار أن من نجا نال حريته بالاندماج بقبيلة تيموجين ويعود الفضل في ذلك إلى ايسوغان التترية. ونرى من المفيد إيراد قصتها لتضمنها مشاعر إنسانية فيها تضحية ونبل، وملخصها انه بعد المجزرة التي وقعت بالتتار وقعت عين تيموجين على واحدة من الناجيات من بين آلاف القتلى وشاءت الاقدار ان لاقت في نفسه الهوى لجمالها الفاتن فاتخذها خليلة له وكان اسمها ايسوغان وذات مرة خاطبت تيموجين بالقول ((إن بمقدورك سيدي الخان أن تجعل مني خانة حقيقية إذا ما جاد عطفك الخاني، ولكن هناك من هي أحق مني لتكون خانة بمعنى الكلمة، هي شقيقتي الكبرى أيسوي التي تمت خطوبتها تواً ولا اعلم مصيرها)).

– إذا كانت شقيقتك أكثر حسناً وبهاءً منك سآمر بالبحث عنها، ولكن هل ستتنازلين لها عن مكانك عند قدومها ؟

– بعد اذن سموك الخاني، سأتنازل لها في الحال عند ظهورها، أمر تيموجين بالبحث عن ايسوي وتم القبض عليها ونجا خطيبها بالاختباء في الأحراش وعندما رأت ايسوغان شقيقتها الكبرى هبت مباشرة وأجلستها في موضعها، فأعجب بها تيموجين حال رآها فاتخذها زوجة له.

جلس تيموجين في احتفال يشرب القميز[183] وبجواره زوجاته وفجأة ذرفت ايسوي دموعاً بحزن وأسى فانتاب تيموجين الشك وصار يردد في داخله ((يا ترى رأت محبوبها؟)) ثم أمر بانصراف الجميع، فانصرفوا باستثناء شاب غريب في هيئة رجل نبيل فسأله تيموجين من انت ؟ فأجاب: أنا خطيب ايسوي بنت يكي التتري، لقد بطشت بنا فهربت فزعاً والآن يبدو أن الوضع قد هدأ فحضرت إلى هنا معتقداً بأنه لا يمكن التعرف علي وسط هذا الحشد، فقال تيموجين لقريبه أن أمثال هذا الصعلوك لا يستحق إلا الموت.. أبعدوه عن نظري مسحوقاً وهكذا قطع رأسه فمات ضحية حبه... ولم تتمكن ايسوي من إنقاذه عدا إنها كانت خلسة تذرف الدموع عندما تتذكر وجهه الصبوح الناضر[184].

وإذا كانت ايسوي قد فشلت في انقاد خطيبها فإن شقيقتها ايسوغان نجحت ثانية ولكن هذه المرة ليس بإنقاذ قريبة لها بل بإنقاذ آلاف من أبناء شعبها عندما نجحت في إقناع تيموجين بإعفاء ما كان قد أمر بقتلهم بعد أن اكتشف أن شقيقه خاسار لم ينفذ بجميعهم حكم الإعدام وبسبب نبلها وذكائها اتخذها زوجة له[185].

وهكذا اندمج بقايا التتار بقبيلة تيموجين المغولية واخذ الكثير من رجالات المغول في الإقبال على الزواج من بنات التتار وكان النسل الجديد يضم كبار قواد المغول وزعمائهم[186].

واصل تيموجين بعد القضاء على التتار مسيرته مطوراً نجاحاته ففي خريف عام (602هـ /1204م) قاد حملة على بقايا من كان لا زال متمرداً عليه من المركيت وتمكن من إخضاعهم لسلطته، وفي ربيع عام (602هـ/1205م) قاد

(183) القميز شراب يصنع من حليب الخيل مذاقه أشبه باللبن الحامض. الهمذاني: جامع التواريخ (تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص8.

(184) الهمذاني: جامع التواريخ، م 1،ج1، ص106. الصياد: المغول في التأريخ، ص 27. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص171-172.

(185) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص172-173.

(186) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) فتضمن العشرات من الأمراء المنحدرين من أمهات تترية لا مجال هنا لذكرهم.

جيوشه ليقضي على الهاربين من النايمان فقتل زعيمهم توختي بيكن وقسماً كبيراً من جيشه كما طارد الهاربين حيث الكثير منهم لاقى حتفه غرقاً عند محاولتهم عبور نهر ارتيش [187]، أما الباقون من الناجين فتركوا بزعامة قائدهم كوتشلوك منغوليا إلى أرض الصين حيث استقروا عند نهر تشو[188].

وهكذا انتهت حرب الأعراق المغولية المركيتية الكراتية النايمانية التتارية من أجل الهيمنة على منغوليا وانقضى المسار السياسي لها بالهيمنة المغولية على العرق التركي بجميع قبائله، ومن وقتها لم يعد لدى تيموجين منافس قوي في كل أرض منغوليا فمنهم من سحق ومنهم من تحطم وآخرون طردوا إلى أرض الصين ومن بقي من القبائل الصغيرة أعلنت أنها مع القوي وهل يوجد قوي غير تيموجين؟.

وأشهر من انضمت إليه قبائل الايغور دون قتال وقدم ملكهم أيدي قوت فروض الطاعة والخضوع ناجياً بذلك بنفسه وقبيلته من الدمار فأصبح من اتباع تيموجين ومناصريه[189].

وبذلك أصبحت الأراضي الممتدة الواسعة من جبال وسهول وصحارى منغوليا تحت سيطرة القبيلة المغولية بزعامة تيموجين ومنذ ذلك الوقت صارت هذه الأرض تحمل اسم المنتصرين وسميت منغوليا والشعوب التي سكنتها كتب عليه أن تنسى تسمياتها القبلية وان تعرف نفسها بالمغول.

6- المؤتمر العظيم ((القوريلتاي)) سنة (603هـ/1206م)

(187) نهر ارتيش: هو أكبر روافد نهر أوب، ينبع من الأراضي الشمالية الغربية الصينية ثم يتجه شمالاً عبر الأراضي الكازاخستانية الشرقية إلى داخل الأراضي الروسية ضمن منطقة سيبريا ليصب في خليج اوسكاي في القطب الشمالي. ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص74، الهامش رقم (4).

(188) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص200.

(189) ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص 399. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص 203-204. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص4.

ان سلسلة الانتصارات التي حققها تيموجين والتي انتهت بالقضاء على جميع القبائل المغولية المعادية والتي اشرنا إليها في المباحث السابقة رفعت من مقامه ليصبح الحاكم المطلق دون منازع على كل منغوليا ومنحته هذه الانتصارات سلطة على شعبه لم ينلها أي حاكم قبلي منذ أجيال.

وهكذا أصبح تيموجين يرى نفسه أساساً لأمته ومعبراً عن إرادة شعب منغوليا، وكانت أولى رغباته أن يمنح حق الشرعية للسلطة التي جسدها نجاحه في شخصه، ففي سنة (603هـ/ 1206م) استعمل نفوذه لعقد مؤتمر عام ((قوريلتاي)) دعا فيه زعماء القبائل المغولية وأبناء أسرته البالغين والخواتين وقواده وفئات من عِليّة القوم مع قلة من الطبقة السفلى من القبائل[190]، وعقد المؤتمر على ضفاف نهر اونون في ربيع تلك السنة[191].

كرس الاجتماع لمناقشة جملة قضايا بهدف تبيان طريقة إدارة البلاد وفق النظام الذي سيتم الاتفاق عليه، وكان أهم ما تداوله المجتمعون وأقروه هو:

1-خلع على تيموجين لقب جنكيز خان [192] وجنكيز خان يتكون من مقطعين جنكيز وتعني ابن السماء [193] وخان صفة للسلطة العليا [194] وبهذا الاسم

(190) شبولر: العالم الإسلامي، ص 24. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص15.
Vladimircov: CenGizhan, p.53. Spuler: Die Golden Horde , p.616.

(191) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص205. هوخام: تأريخ الصين، ص221.

(192) اشار الجويني بأن اعتماد المؤتمرين اسم جنكيز خان جاء بناءاً على ادعاء تب تنكري وهو من المغول المعتبرين الذي أشار بأنه في أحد الأيام القارصة كان مرتدياً قميصاً ويتجول في الصحراء ويقول ((كلمني الله)) واخبرني أن الأرض سيرثها تيموجين وأبناؤه ويدعى جنكيز خان وسيلهمه الله العدل، ولن يعدل عنه مطلقاً حتى تبلغ قوته أقصاها ويزداد حشمة ويحلو بحلاوة الملك. عن ذلك ينظر: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص71. ويشير عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا، منشورات الجمعية الخيرية التركستانية 1945 م، ص62 بأن عمر تيموجين عندما منح هذا اللقب كان 42 سنة، وهذا يعني أن عبد العزيز يؤيد من ذهب إلى ان تأريخ ولادة تيموجين هي سنة (561هـ/1165م) والتي اشرنا إليها ضمن مبحث تيموجين والكفاح من أجل الزعامة.

اكتسب تيموجين الصفة الشرعية من السماء بالحكم على شعبه وعلى الشعوب الأخرى التي يجب أن تخضع له وإلا وجب قتالها وإبادتها ((وعندما يرفض العدو أمر الخضوع ويطلق ولو سهماً واحداً أو حجراً على جيشه ((أي جيش جنكيزخان)) يباد العدو دون رحمة في كل الأحوال)) [195] وذلك وفقاً للسلطة التي منحت لتيموجين إلهياً، بوصفه انه مسخر من السماء لحكم البشر [196] لذا لا يجوز أن ينافسه أحدٌ على الحكم وإلا وجب قتاله وتدميره ((فهناك شمس واحدة في السماء وسيد واحد على الأرض))[197] هذا ما قاله تيموجين وهذا ما كان يردده المغول في كل مناسبة أو دونها.

---

(193) ف، يان: جنكيز خان سفاح الشعوب، ص 10. بارتولد: مادة جنكيز خان، دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص130.

(194) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، ج1، ق2، ص307. الحاشية رقم (4). باشا، حسن: الألقاب الإسلامية، القاهرة 1377هـ، ص 171. بارتولد: مادة جنكيز خان، دائرة المعارف الإسلامية م7، ص130.

K. Sar: Mongol in the 12 and 13centuries, A.D. Encyclopaedia Britannica. U.S.A., 1966 , Vol.15, p. 730.

(195) هذا النص مدون على ضريح يلوي تشوشا أحد الأتباع الذي كان يحظى بمكانة رفيعة لدى تيموجين، كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص218–219.

(196) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص71.

(197) شبولر: العالم الإسلامي، ص 26. ويروي خواندمير ان تيموجين ((رأى ذات ليلة في منامه ان يديه امتدتا وكان يمسك سيفاً في كلتا يديه بحيث أن طرف احدهما كان متصلاً بالمشرق والطرف الآخر متصلاً بالمغرب، فلما أصبح الصبح، قص رؤياه على أمه فقالت له: أنت سوف تستولي على العالم شرقيه وغربيه وسوف يصل اثر سيفك المضرج بالدماء إلى بلاد المشرق والمغرب)) عن ذلك ينظر: حبيب السير، ج 3، ص16–17.وعلى ما يبدو أن هذه الرؤيا قد ساهمت في تكريس الاعتقاد لدى تيموجين بأنه كان يحمل تفويضاً إلهياً في حكم العالم.

وهذه النظرية في الحكم اخذ بها فيما بعد تيمورلنك الذي كان يعدُّ نفسَهُ الوريث الشرعي للإمبراطورية المغولية فكان يؤمن بأنه لا يجوز أن يحكم العالم أكثر من إمبراطور[198] وعمل من اجل تحقيق هذا الهدف[199].

وقد عُدّ تأريخ منح لقب خان لتيموجين بأنه البداية الرسمية لقيام الإمبراطورية المغولية باعتبار أن هذا اللقب قد حصل عليه بشكل شرعي وبإقرار من جميع المؤتمرين في مؤتمر سنة (603هـ/ 1206م).

2- تعميم تسمية المغول على كل القبائل المنتشرة في منغوليا دون استثناء وفي هذا القرار أراد تيموجين أن يرفع من شأن قبيلته أمام القبائل الأخرى التي كانت تنظر إلى هذه القبيلة نظرة احتقار وبتعميم هذه التسمية أزال تيموجين هذه النظرة الدونية لقبيلته وساواها بسائر القبائل، لا بل أخذت القبائل المغولية تتشرف بهذه التسمية بحكم انتماء تيموجين لها[200].

وبهذا القرار يكون تيموجين قد أسس تسمية موحدة لشعب لم يكن له من قبل اسم يعرف به سوى أن كل قبيلة منه كان لها اسم دون أن يجمعها مع غيرها اسم جامع موحد.

3- طلب تيموجين من المجتمعين ضرورة أن يكون لدولة المغول راية موحدة يستظلون بها ويقاتلون تحت لوائها فاختار لهم علماً ابيضَ عليه صورة قمر

(198) يكوبوفسكي، أ. يو: تيمورلنك وصف موجز لسيرة حياته، ترجمه عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات، تصدرها الجامعة الأردنية، م 15، العدد السابع، 1988م،، ص110 – 114، قداوي، تيمورلنك ومحنة دمشق، مجلة آداب الرافدين، العدد 36 لسنة 2003م، ص85.

(199) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص421.

(200) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص 382. رانسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص416. الأمين، حسن: الغزو المغولي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1976م، ص30 –31. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص 22. قداوي: المغول في الموصل والجزيرة، ص49.

في المحاق ويتدلى من العلم أذيال تسع أفراس بيضاء [201] وهذه الراية سبق لتيموجين ان رفعها في بعض حروبه كما تم اختيار شمسية ترمز للسلطة الإمبراطورية وكان لونها احمر واللون الأحمر يعد اللون الرسمي في ذلك الوقت لأسرة سونك الحاكمة في الصين وبهذا يكون هذا التقليد قد أخذه المغول من الصين، كما أخذوا منهم كرسي العرش الذي أجلسوا عليه تيموجين كدلالة على انه الخان الأعظم، وكرسي العرش كان مزيناً برؤوس التنين المطلية بالذهب والتنين يعد رمزاً صينياً للجبروت والسلطة وهذا النموذج من كرسي العرش قد عرفته إحدى زعامات منغوليا من قبل إذ تشير المعلومات بأن موخالي الذي كان زعيماً محلياً قد جلس على عرش شبيه به ولكن مصنوع من الفضة[202].

4- وبحكم أن كل دولة لابد أن تكون لها عاصمة فقد وقع الاختيار على المؤتمرين ان تكون قراقورم [203] عاصمة لدولة المغول الفتية [204] وكلمة قراقورم تعني الرمال السوداء[205].

---

(201) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 549 والحاشية رقم (5)، بارتولد: مادة جنكيزخان، دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص130 – 131. سلطان، طارق فتحي: التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، مطبعة محمد، الموصل، 2006م، ج2، ص203.

(202) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص206–207.

(203) قراقورم: هي سلسلة جبلية ضخمة بآسيا الوسطى وتتصل بهضبة بامير وتعرف حالياً باسم بانوي وتضم هذه الجبال ثاني أعلى قمة جبلية قي العالم وتقع في الجزء الشمالي من جبل قراقورم في منغوليا الغربية وعلى ضفاف نهر اورخون تقع مدينة قراقورم التي بناها الايغور لتكون عاصمة لدولتهم ثم ما لبث المغول أن استحوذوا عليها على عهد جنكيزخان لتكون عاصمة لدولتهم. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص80. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، ص505. إقبال: تأريخ المغول، ص19.

(204) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص 17. عبد الحكيم: جنكيز خان، ص58. سلطان: التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، ج2، ص203.

وقراقورم حسب وصف هارولد لامب مدينة عجيبة فهي عاصمة البراري ومصفح الرياح ومكسح الرمال شيدت بيوتها من الطين والقش، أما طرقها وأزقتها فلا انتظام ولا نظام فيها، وقد ارتفعت من حولها قبب خيام اللباد السوداء وانتشرت فيها الإسطبلات الواسعة وهي تحتوي على مرابط لقطعان الخيول الأصيلة من جياد الخان وفيها مذاخر الحبوب والغلال وتنتشر فيها بيوت الضيافة غير أن أهم ما يميز المدينة هو سرداق الخان الذي فيه تنعقد مجالس الخان ومنها المجلس العظيم الذي درج المغول على عقده عند اختيار الخان الجديد الذي يحل محل الخان المتوفى والسرداق هو عبارة عن خيمة كبيرة جداً تتسع للمئات من الضيوف، مرتفعة ومصنوعة من لباد ابيض مبطن بالحرير وعند مدخل السرداق منضدة فضية صفت عليها أطباق حليب الأفراس والفواكه ليتناول منها من يحضر فيها، وفي الجانب الأبعد من الصيوان يجلس الخان على كرسي العرش، ويجلس الحاضرون على مقاعد على طول السرداق وهم في سكوت محتشم، وإذا قال الخان كلمته في الموضوع تَمّ أمرُهُ، ولا نقاش للحاضرين إلا عندما يطلب منهم[206].

5- ويذكر القزاز نقلاً عن المؤرخ الفرنسي دوسون أنه في هذا المؤتمر وضعت البنود والمقررات التي تضمنت الوصايا التسعة في تنظيم الاجتماعات وآداب الديوان والجوك ((تقديم التحية)) وطريقة مخاطبة جنكيز خان ووجوب المتقدم برؤية جنكيزخان الانحناء تسع مرات على ركبتيه قبل الحديث[207].

6- في هذا المؤتمر اقر المؤتمرون اسم الأسرة الذهبية على أسرة تيموجين [208] تمجيداً وتعظيماً وتمييزاً لها عن سائر الأسر الحاكمة ويبدو أن تمجيد هذه الأسرة جاء تأثراً بتسمية الأسرة الذهبية التي كانت تطلق على الأسر الحاكمة الصينية.

---

(205) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص505. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص478.
(206) لامب: جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص80 -83.
(207) الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص16.
(208) اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص191.

7- تعهد المجتمعون لتيموجين بأنهم سيتقدمون الصفوف في كل قتال يقرره ضد أعدائه، وأنهم سيقدمون له ما يغنمون في الحرب وما يصيدونه من حيوانات زمن السلم[209].

وبعد هذا المؤتمر غدا اسم تيموجين من الماضي وأصبح اسم جنكيزخان هو الشائع في الاستخدام على الألسن على أن تسبق اللفظة أو الاسم كلمة السيد العظيم وكلمة السيد العظيم تقابل في الوقت الحاضر كلمة صاحب الجلالة.

وقع على عاتق جنكيزخان بعد المؤتمر العظيم ((القوريلتاي)) هذا مهمة استكمال إصدار أنظمة وتشريعات أخرى تستلزمها ضرورات بناء دولة وهنا استحضر جنكيزخان كلمة الحكيم والفيلسوف الصيني يي ليوتشوتساي من الشجاعة ما دفعه ليقول لسيده جنكيز خان محذراً إياه بالقول ((لقد هزمت إمبراطورية وأنت على صهوة جوادك ولكنك لا يمكن أن تحكمها وأنت على صهوة هذا الجواد))[210].

وهكذا تطلب من جنكيزخان أن يبادر إلى استحداث تنظيمات عسكرية وإدارية تسهل له مهمة الحكم وإدارة البلاد وقيادة الجيوش فابتدأ أولاً باستحداث عشرة مناصب تهتم بإدارة البلاط وهي:

1 -أربعة رجال وظيفتهم ((حمل القسي والسهام)) وهو ما عرف فيما بعد باسم منصب قورجي أي رامي السهام.
2 -أربعة مشرفين على الطعام والشراب وصاحب هذه الوظيفة عرف فيما بعد بآسم بكاول او باورجي.
3 -مشرف على رعي الماشية وآخر على رعي قطعان خيل البلاط ويعرف باسم اختجي.
4 -مشرف على إعداد العربات العسكرية ووسائل النقل والحمل ويسمى تركين.

(209) بارتولد: مادة جنكيزخان، دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص128.
(210) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص88.

5 -شخص واحد للإشراف على الموظفين والخدم في قصر الخان ويسمى صاحبه بجربي.
6 -أربعة رجال وظيفتهم حمل السيوف والحراسة بالتناوب في موقع واحد.
7 -مشرفات على تدريب الخيول والمحافظة عليها.
8 -ثلاثة مشرفين على قطعان الخيل في المراعي.
9 -أربعة أشخاص لتبليغ رسائل الخان.
10 -اثنان من الأمراء للمحافظة على النظام في اجتماعات المغول[211].

وكان لحرس الخان شأن كبير في دولة المغول فقد أنشأ جنكيزخان قوات للحرس الخاني اتخذت صورتها النهائية سنة (603هـ / 1206م) وتحددت بالتفاصيل واجبات هؤلاء الحراس الذين كانوا يبلغون عشرة آلاف مقاتل اشتهروا بالحذر واليقظة وشدة البأس واختصوا بالنظر فيما يتعلق بالتزام النظام في معسكر الخان وهؤلاء الحراس كانوا يؤلفون طبقة ارستقراطية ممتازة، لأن الجندي في هذا الحرس يفوق في الرتبة قائد ألف رجل في الفرق الأخرى التي سنأتي في الحديث عنها، وليس لقائد الحرس أن يحكم بالإعدام على احد الذين يخضعون لقيادته إلا بعد تصديق الخان على الحكم[212].

ومن هذا الحرس تألفت كتيبة من ألف رجل يطلق على كل منهم ((بهادر)) أي شجاع، وهؤلاء الرجال هم الذين يقومون فعلاً بخدمة الخان ولا يخرجون للحرب إلا حينما يخرج الخان مع الجيش وزاد عددهم فيما بعد ليصل إلى ستة آلاف رجل[213].

(211) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 546-547. عمران: المغول واوربا، ص34.

(212) العريني: المغول، ص 56. بارتولد: مادة جنكيزخان، دائرة المعارف الإسلامية، م 7، ص131.

(213) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 549. العريني: المغول، ص56.

ولم يغفل جنكيزخان عن تنظيم جيش هجومي ضارب ليحقق به ما كان قد رسمه لنفسه بأن يكون سيداً للعالم وأدرك مبكراً أن نجاح أي عمل لا يكون إلا بإتمامه حتى النهاية [214]. لذا كان من الضروري بناء قوة عسكرية متفوقة على القوى العسكرية للدول الكبرى المجاورة كإمبراطورية الصين والدولة الخوارزمية فابتدع صنفاً حديثاً من الصنوف المحاربة وأبقاه بإمرته وهو جموع الخيالة الثقيلة الشديدة الضغط القادرة على الحركة السريعة في مختلف أنواع الأرض، ويشير هارولد لامب إلى احتمال أن هذا الصنف قد عرفه قديماً الفرثيون في بلاد فارس غير أنهم كانوا يفتقرون إلى كفاية المغول في الامحاء بالقسي، وإلى شجاعتهم العتيدة المتوفرة[215].

وفي ميدان تنظيم الجيش فقد قسم الجيش المغولي بكامله إلى وحدات على أساس النظام العشري، فأصبح كل عشرة يؤلفون فئة يقودهم قائد لعشرة، والفت كل عشرة فئات من هذا النوع جماعة تسمى قرناً وكل عشرة من هؤلاء صاروا يؤلفون كتيبة تسمى شاياد، وقائد الجماعة المؤلفة من عشرة آلاف رجل يسمى التومان[216] والحق بكل قائد مساعداً له، كما الحق كل جندي بقطعة معينة وبشكل دائم ورتب هذه الوحدات الأخيرة على شكل جماعات عالية التنظيم وزعت إلى ميمنة وميسرة وقلب وهذا التنظيم لم يدع فيه جنكيزخان إبداعا خاصاً كما انه لم ينشأ التنظيم عرضياً في أثناء معركة وإنما هذا التنظيم كان معمولاً به من قبل جيوش الشعوب المتحضرة كالجيش الصيني الذي كان جنكيزخان مطلعاً على تشكيلاته بحكم احتكاكه بهم من قبل غير أن ما يحسب لجنكيزخان من فضل على هذه التنظيمات هو حزمه على الضبط الصارم وكان أي خرق للنظام أو تهاون في أداء الواجب أو أي عمل جبان كان يعاقب مرتكبه دون شفقة أو رحمة بعقوبة

(214) لامب: جنكيزخان وجحافل المغول، ص90.
(215) جنكيزخان امبرطور الناس كلهم، ص57.
(216) التومان: عشرة آلاف مقاتل. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص111، هامش رقم (2).

الموت[217]، فمثلاً كان الجندي الذي تثبت عليه تهمة التحول من قائد إلى آخر طواعية ينفذ فيه حكم الإعدام إمام الوحدة العسكرية كلها، كما ان القائد الذي يقبله يعاقب عقاباً صارماً[218].

وفيما يتعلق بتنظيم الإدارة المدنية، فمعلوم ان المغول كانوا على مستوى متدني من الحضارة ولذا فأنه فور الفراغ من توحيد منغوليا وقبل إخضاع البلاد المتحضرة المجاورة لمنغوليا شرع جنكيزخان في الاستفادة من أرباب الخبرة في الشؤون الإدارية من أبناء قومه ومن الشعوب الأخرى، ويشير هنا بارتولد بأن جنكيزخان عهد إلى شيكي قوتوقو وهو تتاري الأصل بالبت في المسائل القضائية ((أمرك بأن تحكم وتعاقب في المسائل المتصلة بالسرقة والغش، وكل من يستحق القتل جازِهِ بالقتل وكل من يستحق العقوبة عاقبه وأنت الذي ستقطع في المسائل المتصلة بتقسيم الأملاك بين الناس وعليك بتدوين أحكامك على لوحات سود حتى لا يغيرها أحدٌ من الناس في الأزمنة التالية)) [219] كما استفاد المغول من نظام الأختام الذي كان معمولاً به عند قبيلة النايمان المغولية فقد كان في خدمة زعيم النايمان تايانك خان احد الايغور واسمه تاشاتون كان مسؤولاً عن ختم تايانك خان فجعله جنكيزخان في خدمته ليكون مسؤولاً عن الختم الخاني[220].

(217) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص66–67. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص420. شبولر: العالم الإسلامي، ص27.

(218) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 420. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص552. لامب: جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم، ص56. حمدي، حافظ أحمد: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1950م، ص142–143.

(219) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص559.

(220) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 553. العريني: المغول، ص58.

كما أدخل في خدمته أحد أبناء اقليم بلاد ما وراء النهر من المسلمين المدعو محمود يلواج الذي اتخذه جنكيزخان وزيراً ومستشاراً له ثم ولاه بعد استيلاء المغول على إقليم بلاد ما وراء النهر حاكماً عليها من قبله[221].

ويشير رشيد الدين الهمذاني بأن التطورات الإدارية التي حدثت على عهد جنكيزخان وعهد أبنائه شملت تنظيم مراتب الحكام، فقد وضع المغول لكل بلد أو ولاية أسماً ذا معنى خاص وتبين درجات الحكام ومراتبهم من أسماء تلك المدن بحيث لا يحتاج إلى كتابتها في المراسيم فهي تبين قدر كل حاكم وفي أي مرتبة يجلس في حضرة الخان ومن كل مرتبة يعرف أي الحكام ينبغي عليه ان يستقبل الحاكم الآخر ويركع له تحية واحتراماً وقد سميت المراتب على النحو الآتي:

المرتبة الأولى: كينك ((ولاية عظيمة بها مقر الخان))

المرتبة الثانية: دو ((مملكة بها عرش الخان))

المرتبة الثالثة: فو ((عاصمة ولاية))

المرتبة الرابعة: جو ((مدينة من الدرجة الثانية))

المرتبة الخامسة: كون ((ناحية حربية))

المرتبة السادسة: هين ((مدينة من المرتبة الثالثة))

المرتبة السابعة: جين ((قصبة))

المرتبة الثامنة: شون ((قرية))[222]

وجعلوا للوظائف الكبرى ألقاباً منها جنكسانك وهو لقب الأمراء العظام الذين تكون لهم النيابة والوزارة، وفنجان وهو لقب نواب الديوان، والرسم عندهم ان يكون في ديوان الخان أربعة برتبة جنكسانك وأربعة برتبة فنجان وكان للخان اثنا عشر ديواناً كبيراً يسمى شينك[223].

(221) العريني: المغول، ص59.

(222) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص9–10.

(223) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص10.

وإذا كان جنكيزخان قد أظهر موهبته في الجانب الإداري والعسكري في بناء الدولة فأن موهبته كمشرع قانوني ومنظم لمجتمعه لا يقل أهمية عن باقي منجزاته فقد جمع ورتب القوانين والأعراف التي كانت سائدة بين شعبه وأضاف إليها لينتج الياسا او القانون الأساسي للدولة ونظم هذا القانون الحياة العامة المغولية لمدة طويلة بعد موته، فقد احتوت الياسا على مواد تنظم الحياة المدنية.

((فلكل عمل قانون، ولكل مصلحة دستور، ولكل جرم حدٌ))[224] هكذا كان يرى جنكيزخان ما كان يجب ان يكون عليه المغول في حياتهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض.

وقد أشارت بعض المصادر والمراجع التاريخية إلى بنود الياسا [225] التي أصدرها جنكيزخان سنة (603هـ/1206م) عقب اختياره خاناُ أعظم وفيها نظم علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المحكومين بعضهم مع بعض، كما حدد علاقة الفرد بالمجتمع، وتتلخص أحكام الناس في أمور ثلاث هي الخضوع لجنكيز خان والاتحاد في قبيلة واحدة والعقاب الصارم لكل مخطئ[226].

---

(224) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص62. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، ج5، م1، ص11.

(225) عن بنود الياسا ينظر: الجويني، تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص61–67. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 420–421. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص118–119. المقريزي: المواعظ والاعتبار ج2، ص220–221.
Poliak: The Influence of Chingiz – Khan Yasa , upon The General of the Mamluk state: "Bulletin of the school of oriental and African studies" University of London, 1942 , Vol 10 Part 4, P.862-863, 873-874.

(226) الصياد: المغول في التأريخ، ص 339. حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، 1949 م، ص212. حسن، نزار: مدى تطبيق القوانين المغولية في السلطة المملوكية، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية، العدد 93 لعام 2006 م، ص85 – 86.
A.K.S. Lambton: Iran In The Encyclopaedia of Islam, Vol: I , part I , London , 1965 , p.31.

وبعد هذه السلسلة من الإجراءات شرع جنكيزخان في توسيع ملكه خارج منغوليا واستطاع ان يسيطر على معظم أجزاء إمبراطورية الصين الشمالية بما فيها العاصمة بكين وذلك سنة (612هـ/ 1215م) [227].

وعندما استكمل هدفه الأولي في الصين وجه قوته نحو الغرب سنة (616 هـ/ 1219م) ليصطدم بالدولة الخوارزمية التي لم يستطع سلطانها علاء الدين محمد خوارزمشاه (596 – 617هـ / 1199 – 1220 م) من إيقاف زحفهم فبدأ التقهقر أمامهم حتى انتهى به المطاف إلى إحدى جزر بحر قزوين فتوفي هناك سنة (617هـ/1220م)[228].

7- **جوجي يتمرد على سلطة والده**

اخضع جنكيز خان إمبراطوريته التي كونها بعد توسعاته في بلاد ما وراء النهر خوارزم وخراسان والصين تبعاً للمبدأ السائد عند الشعوب البدوية التي تعد أن ما يجري امتلاكه من بلاد وأقاليم ليس ملكاً للحاكم بل لأسرة الخان الحاكمة وان لكل فرد من أفراد الأسرة أن يختص بعدد من القبائل وان يكون له إقطاع واسع من البراري تمارس فيه هذه القبائل حياة الرعي وان يتوافر له من الخراج ما يكفي للإنفاق على بلاطه وعساكره، وهذا الخراج تؤديه الشعوب التي خضعت للفرد الحاكم من هذه الأسرة.

---

(227) صفا: أدبيات در إيران، ج5، م1، ص5.
Bosworth , Ctifford Edmund: The Islamic Dynasties , Edinburghat , 1967 , P.141 ; Spuler: Die Goldene Horde , P,616.

(228) النسوي، محمد بن احمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953 م، ص104–105. السبكي، تاج الدين تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى، مجلة دار المعرفة، بيروت، م 1، ص179–180. الشافعي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم: نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية، تحقيق: سهيل زكار، منشورات التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2008م، ص30–33. سلطان: التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، ج2، ص217–220.

وإذا كانت القواعد تجعل الوطن الأصلي منغوليا ملكاً للابن الأصغر للخان وهو تولوي [229] فإن باقي أجزاء الإمبراطورية توزعت على أولاده الثلاثة الآخرين فاختص جغتاي الابن الثاني لجنكيزخان ببلاد الايغور واقاليم بلاد ما وراء النهر[230] وتشمل منطقة نهر ايللي وايسين كول، وأعالي نهر جوو طلس، فضلاً عن بخارى[231] وسمرقند واتخذ جغتاي مقر حكمه في جنوب نهر ايللي [232] في المدينة التي تسمى ((قناس))[233].

أما أوكتاي الابن الثالث لجنكيزخان فانحصر ملكه في المناطق التي تقع إلى الشمال والشمال الشرقي من بحيرة بلكاش من اقاليم تارباجاي وارتيش واورنوجو و حوض نهر ايميد الواقع شرقي بحيرة بلكاش[234].

أما الابن الأكبر جوجي فكان نصيبه في أول الأمر المناطق الشمالية الغربية من بلاد الخطاي وهي الأراضي الممتدة من نهر ارتيش إلى بحيرة الاكول إلى نهري ايللي وسيحون، ثم أضاف إليه والده ما سيتم فتحه من بلاد خوارزم

(229) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص74. الصياد: المغول في التأريخ، ص164–165. العريني: المغول، ص 156–157. الطويل، محمد امين غالب: تأريخ العلويين، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1966م، ص315.

(230) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص74. ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص396. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص312. الصياد: المغول في التأريخ، ص165. زيدان، جرجي: تأريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة، ج 4، ص243. العريني: المماليك، دار النهضة العربية، 1967م، ص42.

(231) بخارى: من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر، تقع على نهر الصغد وكانت المدينة تسمى قديماً بومجكث، وتتبع بخارى عدد من القرى والقصبات. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص398–399. الحموي، ياقوت، شهاب الدين ابي عبد الله: معجم البلدان، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، م1، ص280.

(232) العريني: المغول، ص158.

(233) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص74.

(234) العريني: المغول، ص158. الصياد: المغول في التأريخ، ص165.

امتداداً إلى أرض جنوب القوقاز غرب بحر قزوين أي المناطق التي يطلق عليها اسم القفجاق[235].

وبما أن العمليات الحربية لجنكيز خان كانت قد طالت كل أقاليم الدولة الخوارزمية باستثناء اقليم خوارزم لذلك وجه جنكيزخان ثلاثة من أبنائه وهم جوجي وجغتاي واوكتاي ليقود ثلاثة جيوش قوامها مائة ألف جندي [236] لتحاصر العاصمة جرجانية [237] المنيعة الأسوار وعلى الرغم من المقاومة الباسلة لسكان المدينة فأن جند المغول تمكنوا من اقتحامها لينزلوا بها الدمار وذلك سنة (618 هـ / 1221م)[238]، وهكذا بسقوط جرجانية أصبح إقليم خوارزم يُدار من قبل جوجي [239].

(235) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص73. ابن خلدون: تأريخ أبن خلدون، ج5، ص506. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص312–313. المقريزي: السلوك ج 1، ق2، ص394 – 395. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، مطبعة درا الكتب المصرية، القاهرة، 1956م، ج4، ص78. شاكر، محمود: التأريخ الإسلامي، المكتبة الإسلامية، 2000م، ط5، ج7، ص135.

(236) الشافعي: نزهة المقلتين، ص40. الهروي، سيف بن محمد بن يعقوب: تأريخ نامه هراة، از انتشارات، كتبخانة خيام، 1352هـ، ص49. الصياد: المغول في التأريخ، ص125.

(237) جرجانية ((اوركنج)) تقع على نهر جيحون وهي أعظم مدن إقليم خوارزم وأكثرها مالاً وأحسنها حالاً وبنياناً طالها تخريب المغول. الحموي: معجم البلدان، م 2، ص45. لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرانسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954 م، ص491.

(238) النسوي: سيرة جلال الدين، ص 171. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص131–135. سلطان، التأريخ الإسلامي في العصر العباسي، ج2، ص221.

(239) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص639.

أما جغتاي واوكتاي فالتحقا بوالدهما الذي كان يطارد جلال الدين منكبرتي الذي كان قد خلف والده على سلطنة الدولة الخوارزمية [240] في إقليم السند[241].

وهناك من يعد سقوط جرجانية بداية لتصدع العلاقة بين جوجي ووالده وأخوته، فكانت تعليمات جنكيزخان واضحة لقادة جيوشه وهو إنزال الدمار بأية مدينة معادية ترفض الاستسلام ولم تكن الجرجانية خارجة عن هذا السياق، ولكن جوجي الذي أراد أن تكون جرجانية عاصمة لمناطق نفوذه، التمس من أخويه بعدم تخريب المدينة ولكن رغبته لم يؤخذ بها [242] وهذا ما أثار حقده على أخويه لكنه آثرَ عدم إظهارها خوفاً من ردة فعلهما عليه [243] وبعد أن استكملت القوات المغولية احتلال معظم أراضي الدولة الخوارزمية واطمأن جنكيزخان بأن أهدافه قد تحققت فيها صمم على العودة إلى منغوليا خصوصاً عندما علم أن ثورة قام بها الخطأ والتنكوت ضده في شمال الصين والتبت وان الظروف تستدعي وجوده هناك[244] فمن بيشاور في أفغانستان توجه جنكيزخان إلى سمرقند ليمضي فيها شتاء عام (620هـ/ 1223م) وبالقرب من نهر سيحون أرسل في استدعاء أبنائه ليتفاوض معهم في مهام الأمور التي تتعلق بتدبير شؤون الممالك التي سخرها المغول فلحق به جغتاي واوكتاي اللذان كانا يقومان بعمليات عسكرية ضد بقايا الجيش الخوارزمي في بلاد ما وراء النهر غير أن جوجي تأخر في الوصول حتى

(240) عن خلافة جلال الدين والده على السلطة ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص35– 41. صفا: تأريخ أدبيات در إيران، م1، ج5، ص10.

(241) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص141–142.

(242) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص639.

(243) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص36 والهامش رقم (3). ص37.

(244) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص142–144.

انضم إلى والده في ربيع سنة (620هـ / 1223م) عندما كان جنكيزخان قد خيم في صحراء قلان باشي[245].

وهناك عقد جنكيزخان اجتماعاً مع أبنائهِ للتشاور معهم ورسم الخطط للمستقبل[246] وبعد انفضاض الاجتماع عاد جوجي إلى وادي القفجاق ليكون بهذا الاجتماع آخر لقاء له مع والده لتتوتر العلاقة بينهما بعدما أظهر جوجي رغبة في إقامة مملكة مستقلة له عن إمبراطورية والده وهنا يشير بارتولد والصياد معتمدان على ما جاء في كتاب طبقات ناصري للمؤرخ الفارسي الجوزجاني المتوفى سنة (698هـ/ 1298م) بأن جوجي قد بلغ له الافتتان ببلاد القفجاق حداً جعله يعقد العزم على إنقاذ تلك البلاد من التخريب للمناطق التي لم يحتلها بعد فقال لحاشيته ((إن جنكيزخان قد فقد عقله كي يقتل مثل هذا الخلق ويخرب مثل هذا العدد من البلاد – في إشارة منه إلى ما ارتكبه جنكيزخان من مجازر بحق سكان بلاد ما وراء النهر وخراسان وان الصواب في أن يقتل والده أثناء الصيد ويعقد حلفاً مع المسلمين)) وقد نمى خبر هذه الخطة إلى جغتاي الذي أعادها على مسامع والده فأمر الأخير بسم جوجي سراً [247] والجويني المتوفى سنة (681 هـ/ 1282م) وبوصفه مؤرخاً للمغول لم يُشِر في كتابه تأريخ فاتح العالم جهانكشاي إلى شيء عن التمرد مدفوعاً على ما يبدو في رغبته في الحفاظ على سمعة أن المغول كانوا موحدين تحت زعامة جنكيزخان وانه لا يمكن تصور احد يتمرد عليه من أبناء

(245) صحراء قلان باشي: تقع في القسم الشرقي من منطقة ميمون إلى الشمال من منطقة اسكندر في اقليم بلاد ما وراء النهر. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص637 والهامش (429).

(246) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص144. صفا: تأريخ أدبيات در إيران ج 5، م1، ص11.

(247) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 640 – 641. الصياد: المغول في التأريخ، ص138.

Boyle , John ٍٍAnddrew: The Mongol world Empire , London, 1977, p.339.

قومه فكيف القبول بتمرد ابنه عليه ربما لو أشار إلى ذلك لنال غضب سادته [248] ومنهم الخان منكو حفيد جنكيزخان حيث كان وزيرا له، أما مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني المتوفى سنة (718هـ/ 1318م) فهو من أشار بوضوح إلى هذه الحادثة ولكن بطريقة تختلف عن ما ذكره الجوزجاني وجرأة رشيد الدين في ذكر هذه الحادثة جاءت على ما يبدو إلى تباعد العامل الزمني بينه وبين الحادث بحدود قرن من الزمان وانه عاش في فترة كانت الصراعات السياسية بين الأسرة الحاكمة أمراً مألوفاً [249] وغدت الإشارة إليها لم تعد أمراً مزعجاً للأسرة الحاكمة المغولية ومفاد ما ذكره رشيد الدين أن جنكيزخان قد استدعى ابنه جوجي للاشتراك معه في غزو بلاد التنكوت الصينية وكان جوجي خلال ذلك مشغولاً بعمل عسكري في بلاد القوقاز فبدلاً من ايقاف عملياته في هذه البلاد والامتثال لطلب والده اخذ يتهرب من هذا الأمر مدعياً بأنه مريض، ولكن احد المغول وصل من بلاد جوجي ليشير لجنكزيخان انه رأى جوجي في الصيد عند ذاك أدرك جنكيزخان أن ابنه قد عصى أوامره عن قصد وقال ((لعل جوجي قد فقد عقله)) وأعلن بأنه ((سيعدمه ولن يرى الرحمة أبداً)) [250] ويعلل المؤرخ الروسي كيتشانوف سبب رفض جوجي والذي يسميه ((بتشجو)) الاستجابة لطلب والده بالقول أولاً أن جوجي كان يشعر أن والده لم يكن له المحبة[251].

(248) معروف أن عائلة الجويني ومنهم الصاحب شمس الدين وأخوه علاء الدين الجويني كانوا يتبوؤن اعلى المناصب الإدارية في دولة المغول على عهود منكو وهولاكو وابلقا وتكودار، عن ذلك ينظر، الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، الدوحة، 1989م، الجاف: الوجيز في تأريخ إيران، ج 2، ص297، 299.

(249) عن الصراعات السياسية للأسرة الحاكمة في الفترات اللاحقة ستكون موضوع الفصول القادمة.

(250) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص79. جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص120.

(251) حياة تيموتشجين، ص321 – 322.

ويبدو أن هذا الشعور جاء بسبب الشكوك التي كانت تراود جنكيزخان حول عائدية انتماء جوجي إلى صلبه [252] ومبعث هذه الشكوك ترجع إلى حادثة خطف والدته بورتة التي كانت قد حملت به في اسر المركيت لها والتي سبق الإشارة إليها وثانياً انه يأخذ على والده المبالغة في تدمير من غزاهم فلم يرق له ذلك فضلاً عن حالة الخصام التي كانت قائمة بين جوجي وباقي أخوته وان هناك من اتهمه بأنه كان يخطط لقتل والده كلها أسباب دفعت جوجي إلى رفض طلب والده والتعلل بالمرض[253] عند ذاك أرسل جنكيزخان عليه جغتاي واوكتاي وتجهز للحاق بهم ولكن بلغه نبأ موت جوجي وموته جاء كما أشرت آنفاً بطريقة دس السم له بتدبير من والده [254] حفاظاً على وحدة إمبراطورية المغول وكان تأريخ موته سنة (624هـ/1227م) قبل موت جنكيزخان بستة أشهر[255].

(252) أشار إلى هذا التشكيك صراحة القلقشندي بالقول "وجوجي قد لا يكون من صلب جنكيزخان " ينظر صبح الأعشى، ج4، ص312.

(253) كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص321–322.

(254) الهمذاني: جامع التواريخ، م1، ج2، ص79. جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص120. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص313. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص322.

Boyle: The Mongol World Empire p. 339.

(255) صفا: تأريخ أدبيات در إيران، م1، ج5، ص11.

Golubeva , T and L gellerstin: Early Russia theussr historical shetchers. Moscow , 1976 , p. 14.

رابعا:صراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم

1- تولي اوكتاي منصب الخانية

غادر جنكيز خان الأقاليم الغربية ممثلة بأملاك الدولة الخوارزمية قبل إكمال إخضاعها بصورة كاملة [256] إلى العاصمة قراقورم سنة (622هـ/1225م) غير انه لم يقم فيها طويلاً إذ كان قد صمم على الخروج بنفسه لقتال الخطأ والتانجوت [257] لتمردهم عليه، فقاد جيشه الضخم لينزل الدمار والخراب بهذه البلاد [258] وكان التعب ومشاق السفر وفعل العمليات العسكرية وكبر السن قد نالت من صحة جنكيز خان خلال تلك العمليات ومع ذلك لم تثنه تلك المعاناة على ما كان قد صمم عليه وهو استكمال احتلال جنوب الصين والقضاء على أسرة سونج التي كانت تحكم فيها فصادف في أثناء عبوره نهر سال إلى جنوب الصين أن مر بمنطقة عرفت بعفونة الجو ورداءة المناخ فأثر ذلك على صحته فأصابه الضعف والانهيار وشعر بدنو أجله عند ذلك استدعى أولاده وحاشيته إلى اجتماع ليقرر فيه مستقبل البلاد[259].

وخلال الاجتماع توجه جنكيز خان بنصائحه إلى أولاده ومنهم جغتاي وأوكتاي وتولوي وباقي أفراد أسرته بالقول ان المرض قد استولى عليه فطلب من

(256) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 453. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص386. ولبر دونالد: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مكتبة مصر، القاهرة، 1958م، ص66.

(257) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص 28. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص274.

(258) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص173. كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص318– 323

(259) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص173. ابن العبر ي: تأريخ الدول السرياني، ص453. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص41.

الأبناء والأحفاد أن يحافظوا على عرشه وممتلكاته[260] وأضاف ((...إذا أراد جميع الأبناء أن يكونوا خانات وحكاماً وآخر لا يكون فسيكون مصيركم كمصير الثعبان المتعدد الرؤوس الذي هاجمه البرد ذات ليلة فأراد أن يزحف إلى جحره وكلما أراد رأس أن يسد باب الجحر نازعته الرؤوس الأخرى حتى كان هلاكه)) لذلك نصحهم بأن يكونوا متوحدين كثعبان برأس واحد ومهما داهمه البرد يستطيع أن يدخل جحره ويأمن به شر البرد بعد أن يدخل ذيله وسائر أعضائه[261].

وبعد أن أنهى نصائحه وأوامره ركع أمامه الجميع وقالوا ((أبونا الملك ونحن العبيد قد رضخنا لأمرك ورأيك)) قال جنكيز خان ((إذا كان هذا أملكم فستعيشون في نعيم ودلال كل عمركم وإن رأيتم رأي بعد أن سمعت منكم ولاءكم، فإني اختار اوكتاي ليجلس على سرير الخانية لما يمتاز به من رأي متين وعقل راجح ولما يتمتع به من رعاية للجيش وحماية للرعية ومحافظة على الثغور بفكر ثاقب وتدبير حسن، كل هذا جعلني اختاره ولياً للعهد وأتوقع أن يمسك بدفة الحكم بصرامة وكفاية)) فوافق رأيه الجميع فطلب منهم أن يقرنوا موافقتهم بالكتابة، فكتب الأولاد جميعاً امتثالاً لأمر والدهم[262].

وبعدها أشتد المرض بجنكيز خان فاستحالت عليه الحركة والنهوض وفي الرابع من شهر رمضان من سنة (624هـ/ 1227م) لفظ أنفاسَهُ الأخيرة ليحمل

(260) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، 1966م، ج5، ص98. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص76. غفاري قزويني، القاضي احمد: تأريخ جهان آرا كتبخانة دشي، تهران ايشنكاه سرجشمة، بايان رسبيد، ص303.

(261) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص174،73.

(262) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص174–175. وينظر كذلك ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. غفاري قزويني: تأريخ جهان آرا، ص303.

جثمانه إلى منغوليا ليدفن في المنطقة التي يخرج منها نهر اونون وكيرولين وبقي موضع الدفن سراً من الأسرار كما هي عادة المغول[263].

وهنا لابد من القول إن استبعاد تولوي وجغتاي عن هذا الاختيار لا يعني أنهما كانا أقل كفاءة من اوكتاي فالأول قد فاق كل اخوته في الصفات العسكرية والمقدرة الفائقة في قيادة الجيوش – وكان والدُهُ بسبب هذه المهارات قد خصه بمهمة ترتيب الجيوش وإعداد الجنود، أما الثاني جغتاي فكان الأقرب إلى طبائع والده وهو الذي عرف بالصرامة والتشدد في تطبيق الياسا حيث كان مسؤولاً عن تطبيقاتها زمن والده [264] فضلاً عن كونهما إداريين ممتازين [265] ويبدو أن استبعادهما عن خلافته جاء بسبب شعور العداء الذي سبق أن قام بين جوجي واخويه هذين.

وعلى الرغم من أن جوجي كان قد توفى قبل هذا الاختيار غير أن جنكيز خان على ما يبدو قد تحسب من ان ينتقل هذا العداء إلى عائلة جوجي التي ستسبب المتاعب إذا ما تم اختيار احدهما ليكون خليفته للخانية لذلك جاء اختياره لأوكتاي لما يمتلكه من صفات تجعله مقبولاً من شعبه.

لم يمارس أوكتاي سلطة الخانية إلا بعد انعقاد مؤتمر ((قوريلتاي)) في كوران سنة (626هـ/ 1228م) وفيه تم تنصيبه خاناً أعظم للمغول [266]. وكان تولوي يدير شؤون الإمبراطورية في الفترة ما بين موت جنكيز خان واعتلاء أوكتاي

(263) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 453. الذهبي: العبر، ج5، ص98. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 6، ص268. المنهل الصافي، ج 4، ص77. غفاري قزويني: تأريخ جهان آرا، ص303. الصياد: المغول في التأريخ، ص138.

(264) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص72.

(265) بارتولد. و.و: تركستان نامه، ترجمة كريم كشاورز، انتشارات بنياد فرينكك، إيران، 1352هـ، ص940.

(266) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص 30. غفاري قزويني: تأريخ جهان آرا، ص303. إقبال، عباس: تأريخ مفصل إيران، طبعة سنة 1347هـ. ش، ج3، ص306. حمدي: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، ص146.

العرش وهو الذي تقلد منصب الوصي طبقاً للعرف المغولي الذي ينص أن الأخ الأصغر هو الذي يخلف أباه في الحكم لحين اختيار (خان) أعظم للمغول [267]، أما سبب استمرار وصايته على الحكم لسنتين فالراجح أن السر في ذلك يرجع إلى ما جرى من تدبير مؤامرات لإقصاء اوكتاي عن حقه في الحكم [268] ويبدو أن تولوي نفسه كان مشاركاً في تلك المؤامرات فقد أغراه على ما كان قد حاز عليه من ممتلكات أبيه كالموطن الأصلي للأسرة الحاكمة على نهري اونون وكيرولين وأعالي نهر تولا وفيها مقر الحكم[269] فضلاً عن الجانب الأكبر من الجيش فكان له (101) ألف رجل من مجموع جيش جنكيز خان البالغ مئة وتسعة وعشرين ألف أما الثمانية وعشرون ألف فقد توزعت على جميع أسرة جنكيز خان من اخوته وأبنائه وزوجاته، كما كان لغالبية الأمراء ميل له أكثر من باقي إخوته[270] غير أن ما أثنى تولوي عن الاستمرار في مخططه بإزاحة أخيه وتنصيب نفسه خاناً بالقوة هو مستشار ووزير والده يي ليوتشوتساي الذي تدارك حدوث الانقسام بإسداء النصح لتولوي بضرورة الاستجابة لرغبة والده إذ ما أراد الحفاظ على وحدة البلاد[271].

ويشير رشيد الدين الهمذاني بوضوح إلى القلق الذي انتاب الأمراء المغول جراء تأخر انتخاب اوكتاي خاناً أعظم بالقول ((قد تشاور جماعة الأمراء الأنجال والأمراء في شأن الملك الذي كان قد ظل خالياً من ملك قرابة سنتين – وأخيراً

(267) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص177 والهامش رقم (1). الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))،ص6.إقبال: تأريخ المغول، ص 137. عمران، المغول وأوربا، ص42.

(268) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص453. العريني، المغول، ص159– 160.

(269) إقبال: تأريخ المغول، ص137.

(270) العريني: المغول، ص159– 160.

(271) العريني: المغول، ص160.

فكروا في انه قد يحدث أمرٌ ما وليس هناك رئيس ولا ملك معين فينصرف الفساد والخلل إلى أساس الملك، فمن المصلحة التعجيل بتنصيب خان للخانية))[272].

وسواءٌ أكان النصح من الوزير يي ليوأم من باقي الأمراء فإنّ تولوي ما كان أمامَهُ إلا الاستجابة لهذا النصح بايقاف مخططه بالدعوة لكافة أبناء الأسرة الحاكمة لعقد ((القوريلتاي)) بتنصيب اوكتاي خاناً أعظم للمغول.

عقد المؤتمر في منغوليا في منطقة يطلق عليها اسم كوران في ربيع سنة (626هـ/1228م)[273] بحضور أفراد الأسرة الحاكمة من أبناء وأخوة جنكيز خان وباقي الأمراء وقواد الجيش وبمشاركة زوجات جنكيز خان وأبنائهِ [274] وشرع الجميع في تبادل وجهات النظر بخصوص اختيار الخان الجديد، ويورد رشيد الدين الهمذاني جانباً من هذا الحوار بالقول ((شرع الأبناء والأمراء في مخاطبة اوكتاي قائلين تنفيذاً لحكم جنكيزخان ينبغي إجلاسك على عرش الملك حتى يشد الرؤساء المتمردون منطقة حزام العبودية على وسطهم وليطيع أوامرك البعيد والقريب)) فرد عليهم أوكتاي قائلاً ((ولو أن وصية جنكيز خان تكون نافذة بهذا الإجراء غير أن هناك الأخ الأكبر والأعمام وخاصة الأخ الأصغر تولوي خان، فأنه أجدر بتقلد هذا الأمر والالتزام به، ذلك لأنه حسب تقاليد المغول ورسومهم – يقوم الابن الأصغر من البيت الأعظم مقام الأب ويتعهد مقامه وداره وتولوي هو الابن الأصغر في المعسكر الكبير وكان يلازم أباه ليلاً ونهاراً – وفي كل الأحوال فقد رأى وسمع وعرف التقاليد والقوانين، فكيف اجلس على عرش القاآنية مع وجوده وحضوره)) فرد عليه الأمراء بالقول ((لقد فوض إليك جنكيز خان هذا الأمر

(272) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص28.

(273) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص176. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص28. اقبال: تأريخ مفصل إيران، ج3، ص306.

(274) عن أسماء من حضر المؤتمر ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص175–176. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 453. الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص28–29.

العظيم من بين الأبناء والأخوة ووكل إليك الحل والعقد فيه، فكيف يتسنى لنا أن نغير أو نبدل حكمه المحكوم وأمره المبرم))[275].

وسواء كان امتناع أوكتاي في بادئ الأمر برفض قبول هذا المنصب بالحجة التي أشرنا إليها آنفاً أو أن ذلك جاء بهدف اختيار موقف باقي أخوته فإن استغراق أمر المشاورات لمدة أربعين يوماً [276] لأمر يشير إلى ثمة معضلة كانت تقف أمام اختياره.

وهنا يذكر رشيد الدين الهمذاني أن الثلاثة أيام الأولى من المؤتمر انشغل فيها الأمراء بالمتعة والأنس والطرب، ثم أخذوا يتبادلون الأحاديث بشأن تدبير الممالك والملك إلى أن استقر رأيهم على إسناد منصب الخانية إلى أوكتاي عملاً بوصية جنكيزخان [277] ومدة هذا الاستغراق لا يشير إليه الهمذاني – في حين يذكر ذلك الجويني بالقول ((... وهم يتشاورون واستمروا على هذه الحال أربعين يوماً، وكانوا في كل يوم يرتدون ألبسة قشيبة ويقرعون الكؤوس ويستعيدون الدروس)) إلى أن جاءَ يومُ الواحد والأربعين وفيه ((تقدم أبناء الملوك نحو اوكتاي يضعون بين يديه مصلحة الإخوة والأبناء التي فرضها جنكيزخان وفوضوه أمر الحل والعقد والنقض والإبرام ولن نبدل من أوامرك شيئاً)) وبذلك قبل أوكتاي المنصب [278] على ان يعمل بإشارة أعمامه وإخوته، وأخذ جغتاي بيد أوكتاي اليمنى وأخذ تولوي بيده اليسرى وأمسك عمه اوتجكين بحزامه وأجلسوه على سرير الخانية ثم رفع تولوي خان كاساً، فرفع الحاضرون بدورهم كؤوسهم داخل البلاط وخارجه باركوا له بالخانية[279].

(275) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص29–30.
(276) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص178.
(277) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص29.
(278) تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص177–178.
(279) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص178. الهمذاني،جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص30.

من كل هذه التفاصيل نستشف أن المؤتمرين لم يكونوا في الأيام الأولى من المؤتمر في إجماع على شخص اوكتاي على الرغم من وجود وصية جنكيزخان في هذا الأمر ولو كانوا متفقين عليه لكان أمر المؤتمر قد حسم منذ الأيام الأولى، ولهذا يمكن القول أن هناك ثمة أمراء عارضوا تنصيبه لمصلحة تولوي ولكن جاءت موافقة تولوي برفع يد اوكتاي كدلالة على إظهار التأييد له لينتهي امر الاعتراض باضطرار المعترضين على إعلان الموافقة.

وعلى أية حال فإن المصادر التي بين أيدينا ولاسيما المغولية مثلما تحاشت الحديث عن الأسباب الحقيقية وراء تأخر انتخاب أوكتاي خاناً أعظم تحاشت أيضاً الإشارة إلى أي موقف سياسي أو حركة تمرد أو صراع من قبل أبناء الأسرة الحاكمة ضد أوكتاي، فمؤرخ المغول الجويني ورشيد الدين الهمذاني اللذان تعتمد عليهما معظم المصادر التي تناولت تأريخ المغول لا يشيران سوى الإطراء على فترة حكم اوكتاي وعدالته وفتوحاته والذي استغرق الحديث عنها عشرات الصفحات، فهل يعقل ان فترة حكمه التي استغرقت ثلاثة عشر عاماً للفترة بين سنة (626هـ/ 1229م)[280] وتأريخ وفاته سنة (639هـ/ 1241م)[281] كانت خالية من الصراع الأسري لا نجد لذلك سوى تفسيراً واحداً هو أن ذكاء أوكتاي السياسي قاده إلى إشغال الأمراء بحركة الفتوحات والتوسعات كي لا يتيح لأحد الفرصة في التآمر عليه، وهذا ما حدث فعلاً، إذ ما أن انتهى ((القوريلتاي)) حتى اصدر اوكتاي المراسيم في حركة الجيوش وحدد لكل أمير وجهته في التوسع شرقاً

(280) عما كتبه الجويني والهمذاني عن فترة اوكتاي واطرائهما عليه ينظر تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص180–222 . جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 30–64.

(281) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التأريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن و حسن محمد، ترجمة سيد إسماعيل وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951م، ص360.

وغرباً [282] والقضاء على الدول ولهذا أخذت جيوشه تضرم نيران الحروب من سواحل بحر البلطيق في شمال غرب اوربا وحتى كوريا ومن موسكو إلى نهر الكنج حتى أعالي نهر الفرات في إقليم الجزيرة الفراتية [283] ولم تهدأ حركة هذه الجيوش حتى وفاته ليضطر بعدها معظم قادة الجيوش العودة إلى منغوليا لانتخاب خان جديد.

2- الصراع بين أبناء الأسرة الملكية الحاكمة على خلافة أوكتاي وتنصيب كيوك خاناً أعظم

واجه المغول أزمةً سياسيةً كبيرةً في اختيار من يخلف اوكتاي على منصب الخانية بعد وفاته سنة (639هـ/ 1241م) حيث بدأت الأطماع على منصب الخانية والخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة [284] وكان اوكتاي خان في حياته قد جعل ولاية العهد لابنه الثالث كوجو، غير ان هذا توفى في حياة والده فاختار اوكتاي لولاية العهد شيرامون بن كوجو على الرغم من صغر سنه لأنه كان يحبه كثيراً ويفضله على أبنائه، وكان شيرامون يعيش في بلاط جده ملازماً له[285]. وجرياً على عادة المغول أن يكون هناك وصيٌ يتولى الحكم خلال الفترة الانتقالية بين وفاة الخان وتنصيب الخان الجديد، والفترة الانتقالية هذه قد تستغرق عدة سنوات ولما كان أبناء الخان المتوفى جميعهم خارج منغوليا منشغلين بحركة

(282) عن مراسيم إعداد الجيوش وقادتها ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص180. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 32. إقبال: تأريخ مفصل إيران، ج3، ص306.

(283) عن حركة الجيوش وحروبها وفتوحاتها في هذه البلدان، ينظر اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب،ص194–195.

(284) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص 388. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص195.

(285) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 180. إقبال: تأريخ المغول، ص173. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص140.

التوسعات الخارجية التي كان قد كلفهم بها أبوهم [286] فإن الخاصة والعامة ممن كان في مقر حكم اوكتاي قد اجتمعوا وأقروا بأن تكون زوجة أوكتاي موكا خاتون وهي التي كان قد ورثها اوكتاي عن أبيه جنكيزخان كزوجه له على حسب عاداتهم هي من تتولى تصريف شؤون الحكم[287]، ولما كانت توراكنة خاتون زوجته الكبرى وأم أولاده الكبار [288] أكثر حصافة وحكمة من موكا خاتون، فقد تصدت للحكم وأسرعت في إرسال الرسل إلى أبنائها وأمراء الأسرة الحاكمة تشرح لهم أحوال البلاد وتطلب منهم تعيين من يتولى شؤون السياسة والحكم بدلاً من موكا خاتون الجاهلة بشؤون السياسة على أن يكون ممن يختارونَهُ تتوفر فيه القدرة على حسن إدارة البلاد ويهتم بالرعية ويثبت دعائم الجيش، وجاء الرد سريعا من الأبناء ان تكون أمهم توراكنة هي التي تتسلم مهمة تصريف الحكم لحين عقد ((القوريلتاي)) لتنصيب خان[289].

وجاء اختيارهم لها بحكم أنها كانت الزوجة المفضلة والأثيرة للخان وأم أولاده الكبار فضلاً عن كونها معروفةً بدهائها وكفاءتها السياسية [290] وهكذا

(286) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 176. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص275 – 278. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص 194–195. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص 388. براون، ادوارد جرانفيل، تأريخ الأدب في إيران، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، مصر 1954م، ص573–574.

(287) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص222.

(288) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176.

(289) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص222. ابن العبري، تأريخ الدول السرياني، ص 749. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 671. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص139. شبولر: العالم الإسلامي، ص40.

(290) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176. براون: تأريخ الأدب في ايران، ص574.

استطاعت توراكنة خاتون من إزاحة موكا خاتون عن الحكم ثم ما لبثت موكا أن توفيت بعد ذلك بوقت قصير[291].

سعت توراكنة خاتون خلال فترة حكمها التي استغرقت قرابة خمس سنوات[292] على تنصيب ابنها كيوك ليكون خاناً أعظم للمغول بدلاً من حفيدها الصغير السن شيرامون [293] مستخدمة نفوذها لتحقيق هذا الهدف وفي ذلك يقول رشيد الدين الهمذاني عنها ((ومصداقاً لسيطرتها وتحكمها أنها لم تأبه بوصية زوجها في ولاية العهد))[294] ((ولم تسمع كلام الإخوة الكبار والصغار وإثارة الفتن بين أفراد الأسرة الجنكيزخانية)) ممن كان يعارضها لتوقع بينهم لإضعافهم ونجحت في ذلك حتى تمكنت ببراعتها من ضبط أمور الملك بلطف وحيلة وجذبت إليها قلوب الأقرباء بأنواع الهدايا والتحف، ومال إليها أكثر الأجانب والعشائر والأقارب، وانقاد الناس إلى أوامرها طوعاً ورغبةً وانضوى تحت قوانينها [295] وكان ممن اصطف إلى جانبها في معارضة تولي شيرامون الخانية الأمير باتو حيث كان شيخاً معظماً لكافة أمراء المغول فهو الأكبر سناً من بين أحفاد جنكيزخان[296]، إذ كان جميع أبناء جنكيزخان قد توفوا وآخرهم كان اوكتاي [297] وكان باتو مسموع الكلمة لدى الأمراء بحكم انه سيد الجميع ((ويرجعون إليه في أمر تعيين الملوك

(291) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 176. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص671.

(292) لين بول ستانلي: طبقات سلاطين الإسلام، ترجمه عن الفارسية، مكي ظاهر الكعبي، منشورات البصري، 1968م، ص197.

(293) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181.

(294) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص181.

(295) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص222.

(296) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص172،108.

(297) توفى جوجي قبل وفاة والده جنكيزخان بستة أشهر، أما تولوي فوفاته كانت سنة (630هـ/ 1232م)، وجغتاي توفى قبل اوكتاي بسبعة اشهر فكانت وفاته سنة (638هـ/1240م) عن ذلك ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص63، 169،149.

وتنصيبهم)) [298] ولا تفصح المصادر سبباً لمعارضة باتو لشيرامون، وإذا كانت هذه المعارضة قد جاءت ثأراً لوالده جوجي الذي كان اوكتاي من ضمن من تآمر على جوجي وساهم في قتله [299] فما تفسيرنا لميل باتو لان يكون كيوك هو المرشح لتقلد منصب الخانية وكيوك هو ابن اوكتاي وتفسير ذلك هو أن باتو كان ثاقب الرأي ورأى أن المصلحة في اختيار كيوك الذي كان قد شاهده عن قرب في أثناء مصاحبة كيوك له في الحملة المغولية، على أوربا في سنوات (633-637هـ/1235-1239م)[300] وما امتلكه من صفات في القيادة والإدارة ما جعله يفضله على شيرامون الذي كان صغير السن ولا خبرة له في الإدارة وقيادة الجيوش[301].

وإذا كانت توراكنة خاتون وباتو قد نجحا في النهاية في إيصال كيوك لمنصب الخانية فإن ذلك لم يحدث إلا بعد سلسلة من المحاكمات المقيتة والإعدامات الوحشية ببلاط الخان المتوفى وقصور الأمراء والتي جعلت فيما بعد عبارة ((يذهب إلى الأوردو)) أي إلى مقر الخان تعني لأي أمير انه ذاهب إلى موت محقق وهنا يشير المؤرخ الروسي بارتولد بأنه ليس من الإنصاف إلقاء مسؤولية العدد الكبير والرهيب من الضحايا ممّن اتهموا بمعارضة تنصيب كيوك للخانية على المغول أنفسهم إذ إن الكثير من الدسائس كان يحيكها ممثلو الشعوب المتحضرة التي كانت خاضعة لهم وان حكام المغول لم يكونوا في واقع الأمر سوى أدوات في أيدي أولئك الذين مهروا في الدس بين المسلمين والايغور والأوربيين وكان المغول يقفون في معظم الأحيان عند حد تسليم المتهم منهم إلى يد أعدائه،

(298) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص172.
(299) عن تآمر اوكتاي ضد جوجي ومساهمته في قتله ينظر كيتشانوف: حياة تيموتشجين، ص321- 322 وفيه يسمى جوجي بتشجو واوكتاي بتشاغتاي،ينظر كذلك الفصل الأول، مبحث جوجي يتمرد على سلطة والده.
(300) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص108 – 109.
(301) بارتولد: تركستان نامه، ص1002.

الأمر الذي لم يكن ليخفف بالطبع من هول المصير الذي كان ينتظره [302] وهكذا ذهب نتيجة هذا الصراع خيرة ممن كان يدير البلاد من وزراء أو صاحب ديوان أو حكام أقاليم هذا فضلاً عما كان يعمل معهم في بلاطهم من غير هؤلاء [303]. أما من كان قد عارضها من أبناء الأسرة الحاكمة فلا تشير المصادر أن توراكنة خاتون قد تمكنت منهم بالقتال بل استخدمت حنكتها السياسية في تحييدهم بعد أن كانوا طامعين بالسلطة وكان أولهم ابنها الثاني كوتان الذي ادعى بأحقيته بالخانية مدعياً بأن جنكيزخان نفسه قد أوصى بأن يؤول العرش بعد موت والده اوكتاي إليه[304].

وكان كوتان قد سعى لحشد التأييد له لتحقيق هدفه بأن استقطب عدداً من المعارضين لحكم والدته [305] غير أن مطالبته بالخانية لم تصل إلى حد رفع السلاح بوجه والدته التي تمكنت على ما يبدو من خلال مبعوثيها له أن تثنيه عن أهدافه التي فترت بعد أن داهمه المرض [306] فرضي بمكافأته بولاية تنكوت الصينية[307]. أما الخطر الثاني فجاء من العم اوتجكين اخي جنكيزخان الذي كان

(302) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص673.

(303) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص222– 227. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675.

(304) الهمذاني، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 181. إقبال: تأريخ المغول، ص173. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675. تركستان نامه، ص1002.

(305) كان ابرز من استقطبهم إلى جانبه من معارضي توراكنة خاتون الوزير جينقاي وصاحب الديوان محمود يلواج عن ذلك ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176–177.

(306) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 181. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675.

(307) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص19.

حاكماً على ولاية الخطأ الصينية[308] والذي استغل فرصة انشغال جيوش المغول في توسعاتهم الخارجية عند وفاة اوكتاي بأن قاد جيشاً مزوداً بالعدة والعتاد إلى معسكر توراكنة خاتون للسيطرة على مقر الحكم وتنصيب نفسه خاناً، وما ان علمت توراكنة خاتون بالأمر حتى أوكلت مهمة الدفاع والتصدي لأوتجكين إلى حفيدها منكلي اغول[309] وفي ذات الوقت أرسلت رسولاً عنها إلى اوتجكين تقول له ((نحن كنائنك مستظهرون بك فما سبب قدومك بالجنود وبالعدة والعتاد إذ إن كافة الرعية والجنود قد اضطربوا))[310] ولم تكتفِ بذلك بل أرسلت إليه آبنَهُ أوباتي الذي كان ملازماً لها ليقنع والده بالعدول عن هذا الأمر[311] وقد نجح في ذلك بأن ندم اوتجكين وعدل عن فكرته وأعلن انه جاء لتقديم العزاء بوفاة أبن أخيه اوكتاي وبذلك مهد السبيل للاعتذار ثم عاد إلى مقر حكمه[312].

لم تشغل هاتان الحادثتان توراكنة خاتون عن مخططها بإزاحة أركان الحكم عن مناصبهم والذين يمثلون عصب إدارة الدولة وممّن كانوا يشكلون مصدر تهديد لها في إيصال ابنها كيوك للخانية وأخذت تترصد لكبار الخصوم لتعطي لكل واحد استحقاقه من العقاب[313] ساعدها في تنفيذ خططها هذه حاجبة لها تسمى فاطمة كان المغول قد أحضروها إلى قراقورم من مدينة طوس عندما استولى على بلاد ما وراء النهر وخراسان[314] ثم الحقت بخدمة توراكنة خاتون

(308) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص73. ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج5، ص527.
(309) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223–225.
(310) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص225. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.
(311) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.
(312) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص225. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.
(313) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223.
(314) وللتفاصيل عن حياة فاطمة وعملها بين دواوين الأمراء وانتقالها لخدمة توراكنة خاتون ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص224–227.

وكانت هذه المرأة غاية في الذكاء والكفاءة وموضعاً للثقة وكاتمة أسرار الخاتون وكان عظماء الأقاليم يتخذوها وسيلة لتحقيق أغراضهم[315] فأخذت توراكنة خاتون وبناءً على مشورة فاطمة تعزل الأمراء وأركان الدولة الذين كانوا قد عينوا في المناصب الكبرى زمن جنكيز خان واوكتاي [316]. وكان أول من استهدفتهم صاحب الديوان محمود يلواج ويلواج كان اقوى واكبر شخصية غير مغولية في دولة المغول وقد حاز على ثقة جنكيزخان وكان مستشاره المقرب إليه وولاّه إقليم بلاد ما وراء النهر [317] وبقيت هذه المكانة على عهد اوكتاي حيث شغل منصب صاحب الديوان وحاكماً على ولاية الخطأ الصينية كما نصب اوكتاي ابنه مسعود على ولاية بلاد ما وراء النهر[318].

وبعد وفاة أوكتاي بقي محمود وابنه في منصبهما دون اعتراض من توراكنة خاتون[319] غير أن هذا القبول بهما كان مؤقتاً ولم يدم طويلاً ولاسيما مع محمود – الذي دبرت له فاطمة مكيدة عند سيدتها توراكنة خاتون وهنا يذكر رشيد الدين الهمذاني أن فاطمة كانت تضمر عداءاً قديماً لمحمود يلواج[320] غير انه لم يُشر إلى ماهية هذا العداء وبتقديري جاء العداء بسبب خيانة محمود يلواج لوطنه بلاد ما وراء النهر الذي هو موطنها أيضاً عندما التجأ إلى جنكيزخان وشاركه غزو هذا الإقليم، ومكافأة له على خدماته نصبه جنكيزخان وزيراً له [321] ولا شك ان التهمة التي ساقتها فاطمة ضد يلواج لا تخرج عن نطاق كونه من المؤيدين

(315) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص224. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص403. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176.

(316) إقبال: تأريخ المغول، ص173.

(317) عن تأريخ علاقة محمود يلواج بجنكيزخان وأوكتاي وتعاونه معهم ينظر التفاصيل، بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 654 الهامش رقم (18) و ص666، 668–670.

(318) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176–177.

(319) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176.

(320) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص177.

(321) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص654، الهامش رقم (18).

بالعمل بوصية اوكتاي فيمن يخلفه على منصب الخانية ولهذا أمرت توراكنة خاتون بعزله وعينت مكانه شخصاً يُدعى عبد الرحمن وأوفدت جماعة على رأسهم الأمير اوقال قورجي للقبض على يلواج وإحضاره مع أتباعه فلما وصل هؤلاء استقبلهم يلواج بالبِشر والترحاب وقدم لهم مراسيم الإكرام والأعذار وظل يومين مشغولاً بالتودد لهم واستعمال اللطف معهم إلى حين أن تمكن من خداعهم بعد أن عرف حقيقة أمرهم فهرب خفية تاركاً أتباعه ليعتقلوا، فالتجأ عند كوتان بن أوكتاي فأمنه وشمله بعطفه [322] أما الوزير الأعظم جينقاي صاحب الأمر والنهي زمن اوكتاي فهو الآخر استهدفته توراكنة خاتون التي رأت انه من أركان الحكم القديم غير المتعاطف مع رغباتها في إيصال ابنها كيوك للخانية ولهذا عزمت على إلقاء القبض عليه ولكن جينقاي علم بما يدبر له فهرب هو الآخر ملتجأ عند كوتان[323]، فأثار ذلك حفيظة توراكنة خاتون التي أرسلت إلى ابنها كوتان تطلب منه تسليمهما إليها فأجابها كوتان ((إن بغاث الطيور التي تهرب من مخالب الصقر وتلجأ إلى شجرة الشوك تأمن من صولة العدو، وحيث أنهما لجأ إلينا تكون إعادتُهما أمراً بعيداً عن المروءة وسأحضرهما عندما ينعقد مجلس الشورى وبحضور الأقارب والأمراء)) [324] للتأكد إن كانوا مذنبين أم بريئين، ولكن توراكنة خاتون كررت طلبها إلى ابنها مرات عدة وهي تصر على حضورهما فكان كوتان يعتذر عن إرسالهما إلا بعقد المجلس[325].

(322) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص177.

(323) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص176–177. اقبال: تأريخ المغول، ص173.

(324) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 177. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص675.

(325) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 177. إقبال: تأريخ المغول، ص173.

وحين أيقنت أنها لن تتمكنَ من استعادتهما اتفقت مع الأمير عماد الملك محمد الختني الذي كان من جملة أمراء أوكتاي وعلى صلة بها على تلفيق التهم ضدهما لكي تضمن تعليق الأغلال في إقدامهما عند محاكمتهما في الاجتماع الرسمي المزمع عقده [326] ولكن وفاة كوتان المفاجئة حالت دون انعقاد المجلس لمحاكمتهما[327]، كما تراجع عماد الملك عن الوشاية إثر ضغوطات وقعت عليه من قبل أبناء كوتان[328]، وهكذا بقي يلواج وجينقاي في حماية أبناء كوتان ثم ما لبثا أن استجارا بعميد أمراء المغول باتو الذي توسط لهما وأعادهما إلى مكانتهما على عهد كيوك خان بعد وفاة توراكنة خاتون [329] سنة (644هـ/1246م)[330] أما مصير سائر الأمراء ممّن كان يعترض على رغبة توراكنة خاتون في تولي كيوك العرش فتخلصت من معظمهم، إما بعزلهم أو بقتلهم أو بهربهم ومنهم مستشاري اوكتاي جهانكشاي النسطوري ويي ليوتشو الصيني الذين تم عزلهما دون مقاومة[331] أما الأمير مسعود بن محمود يلواج الذي كان حاكماً على ولاية إقليم بلاد ما وراء النهر فإن المعلومات عنه لا تشير إلى انه كان متهماً بمعارضة تنصيب كيوك للخانية ولكنه خاف أن يذهب بجريرة والده لذلك آثر السلامة بترك منصبه واحتمى بالأمير باتو [332] الذي توسط له عند توراكنة خاتون فأعادته إلى

(326) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص223–224.
(327) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص179.
(328) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص224.
(329) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص236. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص179، 182 – 184 ويحدد زمن وفاتها بشهرين أو ثلاثة بعد تسلم كيوك منصب الخانية ويذكر العزاوي ان محمود يلواج وجينقاي قد حضرا مراسم تتويج كيوك للخانية، تأريخ العراق بين احتلالين ، ج1، ص141.
(330) الهمذاني:جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 184–186–188–209. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص197. الصدفي: تأريخ دول الإسلام، ج2، ص178.
(331) العريني: المغول، ص188.
(332) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص177–178. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص674

منصبه دون عقاب [333] وكان القتل من نصيب الأمير كوركوز حاكم ولاية خراسان، وكوركوز وهوايغوري بوذي أصله من قرية بريلغ التابعة لبيش باليغ علا شأنه بفضل ذكائه وتعليمه فانخرط في خدمة البلاط المغولي حتى تولى في أواخر عهد اوكتاي إدارة ولاية خراسان وجميع أملاك المغول الواقعة إلى الغرب من نهر اموديا وقد افلح كوركوز في النهوض بخراسان حيث عمت الرفاهية على سكانها بفضل حسن إدارته لها، ولكنه لم يلبث أن أحاطت به الدسائس بعد هروب صديقه الوزير جينقاي كما تحدث بحق الملكة بألفاظ تنطوي على عدم الاحترام، وبهذا وجد أعداؤه مبرراً كافياً لمهاجمته فسيق كوركوز إلى ((الاوردو)) مقر الحكم فحشو فمه بالحجر وقتلوه ونصبت توراكنة الأمير ارغون المقرب إليها على حكم خراسان بدلاً عنه[334].

أثارت عمليات الانتقام التي قامت بها توراكنة خاتون ضد خصومهما حفيظة معظم الأمراء الذين اخذوا يتحاشونها وفي هذا يقول رشيد الدين الهمذاني ((وفي تلك الفترة المليئة بالفتن والاضطراب إذ أخذ كل شخص يلجأ إلى مكان ويتمسك بحمايته، كما كان كل واحد يتذرع بنوع من الحجج لتبرير موقفه)) [335] خوفاً من ان تطالهم يداها.

Spuler: History of the Mongols Basedon Eastern and Western Aceounts of the Therteen and foorten the centuries, translated by: Helga, London, 1972, p. 14.

(333) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص236، يشير رشيد الدين الهمذاني بأن مسعوداً اشترك في حفل تتويج كيوك لمنصب الخانية بصفته حاكماً على بلاد ما وراء النهر جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 181، وهذا ما يفسر بأن توراكنة خاتون قد عفت عنه وأعادته إلى منصبه.

(334) للتفاصيل عن حياة كوركوز ونشاطه السياسي ونكبته ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص122–139.

(335) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178.

وبعد أن استمكنت من الجميع وظل عرش الخانية تحت إمرتها ما يقارب من خمس سنوات (639-644هـ/ 1241- 1246م)[336] غدت الظروف مهيأة لتحقيق هدفها، فأرسلت الرسل إلى كبار أمراء أسرة جنكيزخان وحكام الأقاليم وقادة الجيوش لحضور جلسة المؤتمر ((القوريلتاي)) لتنصيب كيوك رسمياً خاناً أعظم للمغول، وأرسلت دعوات إلى عدد من الملوك والسلاطين، وصلوا منغوليا قادمين من ولاية القفجاق إخوة باتو ممثلين عنه بعد أن اعتذر لضعف في بنيته بسبب كبر سنه، وحضر كل من وجهت له الدعوة من كبار الأمراء والشخصيات المغولية وعلى رأسهم أوتجكين اخو جنكيزخان والأعمام وأبناء الأعمام ونساء الأسرة الحاكمة وحكام الأقاليم من بلاد الخطأ والتركستان وما وراء النهر وخراسان والسلطان ركن الدين سلطان سلاجقة الروم بآسيا الصغرى، ومندوبون عن اتابكة كرمان وفارس والموصل والمطالبان بعرش مملكة الكرج ((جورجيا)) داود نارين وداود لأخ، وأرسل الخليفة العباسي مندوباً عنه كما أرسل علاء الدين حاكم الإسماعيلية ممثليه لحضور المؤتمر، فضلاً عن حضور أمراء اذربيجان وشيروان ومن حلب أخو أميرها [337] وبعض من هؤلاء ربما حضروا تفادياً لنقمة المغول وتجنباً لشرهم كما حضر ممثلون مسيحيون منهم كوني تابل سمباد أخو هيثوم ملك مملكة ارمينيا الصغرى ((قيليقيا)) ويوحنا دي بلان كاربيني ممثلاً عن الباب

(336) لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص197.

(337) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص230 -231. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان)) ص180 -181. اقبال: تأريخ المغول، ص174. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص140.

انيسونت الرابع[338] جميعهم قدموا إلى قراقورم محملين بالهدايا التي تليق بمثل هذه المناسبة[339].

انعقد المؤتمر في ربيع سنة (644هـ/1246م)[340] على ضفاف بحيرات غرب منغوليا في موضع يسمى كوكاناوور بعد أن اعد لهم ما يقرب من الفي سرداق ولكثرة ما حضر لم يبق موضع للنزول في المنطقة المحيطة بالمعسكر[341] وكعادة المغول يبدأ الاجتماع بالتداول بين أمراء الأسرة الحاكمة في موضع الخانية وبعد نقاش معروف الهدف منه اتفق الجميع على ان صغر سن شيرامون ولي العهد لا يؤهله لتسلم منصب الخانية ولهذا تقتضي المصلحة بأن يكون كيوك خاناً أعظم كونه اكبر سناً بين أولاد الخان المتوفى اوكتاي[342] وأكثر قدرة على ممارسة الصعاب من الأمور وشاهد السراء والضراء وهكذا غلبت الرغبة في تعيين كيوك على دفة الحكم ولكن العرف يتطلب من كيوك أن يتمنع[343] وبعد الإلحاح عليه قال للأمراء ((إني اقبل هذا المنصب بشرط أن تبقى الخانية في

(338) براون: تأريخ الأدب في إيران، ص 574. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص141. قداوي: تحالف مملكة ارمينيا الصغرى وانطاكيا الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام و تصدي المماليك لهم، مجلة التأريخ العربي، العدد العاشر، 1999 م، ص156.

(339) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181.

(340) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص229. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص388. شبولر: العالم الإسلامي، ص46.

(341) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 180 –181. إقبال: تأريخ المغول، ص173، وقد وصف الجويني مكان الاجتماع وصفاً جميلاً من حيث التنظيم والخدمة وجمال المكان إلى حد قوله لم يسبق لمثل هذا الاحتفال ان يكون له مثيل في التأريخ عن تفاصيل ذلك ينظر: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص229 – 233.

(342) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص181.

(343) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص232. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749.

ذريتي)) فكتب كلهم تعهداً بالموافقة على رأيه قائلين ((إذا بقيت من نسلك قطعة لحم ملفوفة في الشحم والعلف وتعلقها الكلاب والبقر، فإننا لن نعطي الخانية شخصاً آخر)) [344] وهكذا قبل بالمنصب فقام الأمراء جميعاً ورفعوا قبعاتهم تحية وإجلال وعلقوا أحزمتهم على أكتافهم وأجلسوه على عرش الخانية وركع كل من كان في المجلس ثلاث مرات وهم ينادون باسم كيوك خان عندها تناول الجميع كؤوس الشراب وانشغلوا مدة أسبوع بالمآدب والحفلات[345].

(344) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(345) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص232. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص749. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

3. إجراءات كيوك العقابية تجاه من شك في ولائه

عرف كيوك بالبطش وحب السيطرة[346] ولذلك ما أن تسلم منصب الخانية حتى اقلقه احتفاظ معارضيه بالمكانة التي كانوا عليها زمن أبيه ولاسيما من أمراء أسرة جنكيزخان ومنهم العم اوتجكين الذي لم ينس له كيوك فعلته في محاولة غزو معسكر والدته توراكنة خاتون بهدف السيطرة على مقاليد السلطة ومن أجل إضفاء طابع من الشرعية في محاسبة اوتجكين قرر محاكمته وبشكل علني بعد أن نصب محققين عرفوا بنزاهتهم من ال بيته وهم أبناء عمه منكوبن تولوي واورده ابن جوجي طالباً منهم التدقيق في كشف حقيقة موقفه بالبحث والاستقصاء واعتماد الدقة في الوصول للحقيقة وعدم الخضوع لأي اعتبار أسري وتوصل الاثنان بأن اوتجكين كان مذنباً بتحريض من عدد من أمرائه وبدلاً من قتله اكتفى كيوك بقتل الأمراء [347] وبهذا يكون الخان قد اضعف من مكانة اوتجكين السياسية كونه أخا جنكيز خان وعم والده اوكتاي.

أما الإجراء الثاني الذي اتخذه كيوك خان فكان التخلص من الحاجبة فاطمة التي أخذت تشكل مصدرَ تهديد له من خلال تحريض أخوته عليه عن طريق تأثيرها على والدته توراكنة خاتون التي بقيت تتدخل في شؤون الحكم [348]. ويبدو أن الصاحب محمود يلواج كان له دور كبير في التأثير على كيوك للتخلص من فاطمة ذلك لأن إعادة الاعتبار لمحمود يلواج بتنصيبه ثانية على ولاية الخطأ الصينية[349] في ذات الوقت الذي كانت فيه الحاجبة فاطمة تحاكم بتهمة أنها

(346) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص231. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(347) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص234–235. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(348) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4.

(349) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص184.

كانت وراء مرض كوتان[350] لم يكن الأمر صدفة فمعروف أن فاطمة كانت وراء محنة يلواج وهروبه على عهد توراكنة ولهذا دبر يلواج من اتهم فاطمة بأنها كانت وراء علة كوتان الذي كان على علاقة قيل أنها مشبوهة معها ولاقت هذه التهمة قَبولاً لدى كيوك [351] الذي أراد أن يظهر أمام أسرته انه لا يكن ضغينة لكوتان وعائلته على الرغم من أن كوتان في حياته كان قد نافسه على الخانية كما أن الاقتصاص من فاطمة يعني التخلص من تدخلات والدته في شؤون الحكم باعتبار أن فاطمة هي التي كانت توجهها وهكذا أُدينت فاطمة بجرم لم تقترفه [352]. فأمر كيوك بلفها داخل لباد ورميها في الماء فماتت غرقاً [353] فكان موتُها صدمةً كبيرةً لوالدته التي لم تستطع تحمله لذلك ما لبثت أن ماتت كمداً عليها بوقت قصير [354] كما اعدم كيوك كل من كان له علاقة بفاطمة وبذلك قضى على أمر تدخلات فاطمة وأتباعها في شؤون الحكم[355].

وكان الضحية الثالثة في عملية التصفية الأمير عبد الرحمن الذي شغل على عهد توراكنة خاتون منصب حاكم ولاية الخطأ بدلا عن الصاحب محمود يلواج وجاء قتله بُغيةَ تصفية من كان محسوباً على والدته [356]، كما اتخذ إجراءاً سياسيا آخر تجاه عائلة عمه جغتاي التي كانت طبقاً لوصية جنكيزخان قد حازت على مناطق بلاد ما وراء النهر التي كانت تحكم من قبل حفيد جغتاي الأمير قراأغول ((قراهولاكو)) بناءاً على توصية جغتاي قبل وفاته حيث كان قد عهد

(350) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص226.
(351) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص226.
(352) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1،ص227.
(353) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4.
(354) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص226–227. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4.
(355) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص227.
(356) الهمذاني: جانع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص183–184.

بولاية العهد في حكم هذه المنطقة له [357] ولكن كيوك الذي سبق أن مرَّ بتجربة والده الذي كان قد منح ولاية العهد لحفيده شيرامون بدلاً منه حيث كان الأحق بصفته الابن الأكبر والتي سبق الإشارة إليها وبهدف وضع حدٍ لمثل هذا التجاوز قرر بأن لا يجوز للحفيد أن يرث العرش في الوقت الذي ما يزال فيه احد أبناء الخان على قيد الحياة وبما ان بيسو اكبر من بقي على قيد الحياة من أولاد جغتاي لذلك عزل قراأغول ونصب بيسو على مناطق نفوذ أسرة والده جغتاي[358].

والجويني يذكر أن سبب عزل قراأغول فضلاً عما ذكرناه هو أن بيسو كان على صداقة وصفاء مع كيوك[359] ولهذا فضل كيوك بيسو على قراأغول في حين هناك من يشير إلى أن تعيين بيسو في هذا المنصب جاء استرضاءاً لعائلة جغتاي ولاسيما للزوجة بيكي التي كان كيوك قد قتل اثنين من أولادها لسبب لم يُشر إليه [360]، وربما لتمردهما عليه ولذلك أصدرَ أمراً بأن تكون طلبات بيكي مستجابة وان تكون قراراتها نافذة[361] طبعاً باستثناء أمر ولاية العهد.

وهنا يشير الهمذاني أن كيوك ضيّقَ الخناق على الأمير قراأغول ولم يسمح له بالتدخل في أمور الحكم في حين أطلق يد بيسو في تصريف الأمور [362] وعلى الرغم من أن بيسو لم يكن مؤهلاً لمثل هذا المنصب إذ كان مشغولاً بالملذات ولا يفيق من السكر لكثرة ما كان يحتسي من الخمر ولهذا كانت توقاش زوجته هي التي تدير شؤون الحكم[363] حتى مقتل زوجها بعد وفاة كيوك[364].

---

(357) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235.
(358) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182. قزويني: تأريخ كزيدة، ص586.
(359) تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235، 250.
(360) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص677، الهامش رقم (102).
(361) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235.
(362) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.
(363) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص677– 678. تركستان نامه، ص1005.

أما آخر أجراء عدائي اتخذه كيوك فكان ضد من كان سبباً في إيصاله إلى منصب الخانية وهو الأمير باتو عميد الأسرة الجنكيزخانية وصاحب إقليم القفجاق وباتو هو بن جوجي ابن جنكيزخان أي انه ابن عم كيوك خان [365] وكان باتو حليفاً قوياً لتوراكنة خاتون عاضدها في عزل شيرامون وايصال ابنها كيوك للخانية، كما أن كيوك كان من جملة الأمراء الذين عملوا تحت قيادة باتو في الحملة المغولية على اوربا [366] التي امتدت من سنة (633هـ/1235م) إلى سنة (639هـ/ 1241م)[367] تأريخ وفاة اوكتاي[368] ويبدو أن العلاقة بين باتو وكيوك خلال تلك الحملة سادها التوتر عندما شق كيوك عصا الطاعة على باتو في أثناء الحملة المغولية على البلقان[369] ولذلك أخذ باتو يتوجس خيفة من كيوك في حين يشير بارتولد بأن كيوك هو الذي أخذ يتحسب من باتو لأن الأخير كان يطمح بعرش الخانية ودليله في ذلك أن باتو لم يحضر حفل تنصيب كيوك للخانية مدعياً بأنه مريض ولم يقسم يمين الطاعة والولاء لكيوك [370] وهذا ما دفع كيوك على العمل على اضعاف باتو من خلال ارسال فرقة عسكرية بقيادة الأمير ايلجكتاي نوين لانتزاع إقليم اذربيجان من نفوذ باتو ولكن نائب باتو في هذا الإقليم تصدى

(364) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص235، والهامش رقم واحد ص250.
(365) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص108، 255.
(366) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 55، 108، 121–122.
الرمزي: تلفيق الأخبار، ج 1، ص385. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص 288.
براون: تأريخ الأدب في إيران، ص574. عمران: المغول وأوربا، ص45.
(367) براون: تأريخ الأدب في إيران، ص 573. Saunders, History of Medieval Islam , p.178
(368) فشر. هـ.م. ل: تأريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة واخرين، دار المعارف بمصر، 1966م، ص411.
(369) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص388.
(370) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص680 والهامش رقم (111).

لهم وقبض على أميرهم وعدد من قادته وأرسلهم إلى باتو ليقتلهم ويطحنهم إمعاناً في الانتقام منهم وكدلالة على غضبه من سيدهم كيوك.[371]

لم يثنِ هذا الفشل كيوك خان الذي كان المرض قد أصابه ثانية من استهداف باتو بأن تظاهر أن عفونة المناخ في مقر حكمه في منغوليا هي التي كانت سبباً في مرضه لذلك آثرَ نقل مقر حكمه إلى جهة الغرب في نواحي ايميل قوجين التابعة لباتو مدعياً أن طقس ايميل موافقاً لصحته وماؤها ملائم لمرضه[372] ولكن في حقيقة أمره قاد جيشاً جراراً بتجهيزات حرب كاملة [373] وهذا ما أثار شكوك زوجة عمه تولوي الخاتون سيورقتيتي التي كانت على وفاق تام مع باتو، فأرسلت سراً رسولاً من قبلها إلى باتو تقول له ((كن مستعداً لأن كيوك متجه بجيش جرار نحوك)) فحمد لها باتو هذه المنة كثيراً وصار يستعد لقتاله[374].

ولكن الأمر لم يصل إلى حد القتال لان كيوك مات في الطريق إلى ايميل عند موضع يعرف بسمرقند التي تبعد عن بيش باليغ مسيرة سبعة أيام[375].

---

(371) ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج 5، ص529. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص313. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج 1، ص390. القصاب، محمد يونس: مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك والايلخانيين، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، 2004م، ص69.
Spular: Die Golden horde, p. 29.

(372) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185.

(373) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 185. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 680. إقبال: تأريخ المغول، ص 174، ويشير ابن خلدون والقلقشندي بأن تعداد جيش كيوك بلغ ما يقارب 600.000 ألف مقاتل وهذا أمر مبالغ فيه. تأريخ ابن خلدون، ج5، ص529. وصبح الأعشى، ج4، ص313.

(374) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185.

(375) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص235. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص4. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص185. العريني: المغول، ص193. اقبال: تأريخ المغول، ص174. الصياد: المغول في التأريخ، ص198.

وهكذا تفادت الأسرة الحاكمة بموت كيوك حرباً لا تحمد عقباها وان كان ذلك لم يمنع من ان يقع صراع جديد على من يخلف كيوك على الخانية.

4- سيورقتيتي وحسم الصراع على الخانية لمصلحة ابنها منكو

سيورقتيتي وتسمى أيضاً بيكي هي ابنة الأمير جاكمبو أخي أونك خان زعيم قبيلة الكرايت، خطبها جنكيزخان في حياته إلى ابنه تولوي الذي تزوجها في صغره[376] وانجبت له اربعة اولاد وهم منكو وقوبلاي وهولاكو وأريق بوقا وجميعهم غدوا ذا شأن كبير في التأريخ السياسي لدولة المغول[377].

حظيت سيورقتيتي بمكانة كبيرة لدى الأسرة الحاكمة المغولية ومكانتها انبثقت من كونها سليلة عائلة ملكية متمثلة بعمها اونك خان ونالت حب تولوي لتصبح الزوجة الاثيرة له وبعد وفاة تولوي غدا لايواسي الخان كيوك في فراق عمه سوى العناية الفائقة التي اولاها لسيورقتيتي وأبنائها ولذلك أمر بأن تفوض مصالح ولاية تولوي – التي تتمثل بالموطن الاصلي للمغول منغوليا والتي غدت إرثاً لعائلته طبقاً لوصية جنكيزخان عندما قسم البلاد على أولاده الأربعة والتي سبقت الإشارة إليها – إلى سيورقتيتي كما عهد إليها شؤون تدبير الجيش وان يكون الأبناء والجند طوعاً لأمرها[378].

وصف رشيد الدين الهمذاني سيورقتيتي بأنها امرأة عاقلة فاضلة أجادت تربية أبنائها فبذلت بكفاءتها جهوداً كبيرة في رعايتهم ولقنتهم الفضائل ولم تدع أن يقع بينهم نزاع على الإطلاق، وألفت بين قلوب زوجاتهم مع بعضهن البعض

---

(376) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص120 وهامش رقم (1)، م2، ص186. الهمذاني:جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 160، 195. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص142. الصياد: المغول في التأريخ، ص206.

(377) يذكر الهمذاني بأن تولوي كانت له زوجات ومحظيات كثيرات غير أن أعظمهن وأكثرهن مكانةً في قلبه كانت سيورقتيتي أم أبنائه الأربعة المشهورين الذين كانوا بمنزلة الاركان الأربعة للبلاد. جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص160.

(378) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص197.

وقامت برعايتهم ورعاية الأبناء والأحفاد وجميع الأمراء العظام الذين كانوا قد آلوا إليها من جنكيزخان وتولوي وحافظت عليهم بحسن تدبيرها وسداد رأيها ولأنهم كانوا يرونها عاقلة تماماً وفي غاية الكفاءة لم يتخلفوا مطلقاً عن طاعة أوامرها، كما أحسنت تنظيم شؤون ولايتها إلى قدر لم يكن في مقدور أي ملك أن يأتي بمثلها أو أن يقوم بتنفيذها [379] وكان اوكتاي خان يستشيرها في مهام الأمور ومصالح البلاد[380] ولم يكن يحيد عما تراه صالحاً ولا يجوز التغيير والتبديل في كلامها، وكان أتباعها يتمتعون أكثر من غيرهم بالحماية والاهتمام والاحترام ولم يصدر عنهم في أي صراع أو فتنة شيء يخالف القوانين المغولية [381] ولا شك أن هذا يعطي لها دليلاً على بالغ كفاءتها ورجاحة عقلها وكياستها وتبصرها بعواقب الأمور.

وحرصت دائماً على الحفاظ على هذه المكانة وعززتها بتقديم التحف والهدايا في المناسبات للأقارب والعشائر والرعية والوفود [382]، ورغم أنها كانت تعتنق الديانة المسيحية وتعمل على نشرها [383] إلا أنها كانت تسعى سعياً جدياً لإظهار شعائر الشريعة الإسلامية كسباً للرعية فكانت تغدق الصدقات والعطايا على أئمة المسلمين ومشايخهم ومصداقاً لهذا الأمر أنها منحت ألف كيس من الفضة لأقامة مدرسة في بخارى كما أمرت بشراء الضياع ووقفها على هذه المدرسة وقد اختير لها المدرسون وطلاب العلم، وكانت توالي إرسال الصدقات إلى الأطراف والنواحي وتنفق الأموال على المساكين والفقراء من المسلمين وظلت

(379) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص170.
(380) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186.
(381) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص197.
(382) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186–187.
(383) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص188. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص198. شبولر: العالم الإسلامي، ص42.

تسلك هذا الطريق حتى آخِر عمرها[384] وموقفها هذا من المسلمين خفف من حدة الآلام التي كان يعانيها المسلمون على عهد خليفة اوكتاي كيوك خان الذي لم يكن عهده خيراً للإسلام، وكيوك الذي تولى تربيته مسيحي هو قداق ثم وجد نفسه فيما بعد تحت تأثير أشد المعادين للإسلام الوزير المسيحي جينقاي [385]، فكان أمراً طبيعياً ان يخرج كيوك عن حيادية أبيه اوكتاي وجده جنكيزخان تجاه الرعايا بمختلف أديانهم[386] ويتقرب للمسيحيين الذين اخذوا يقصدونه من مختلف البقاع من بلاد الشام وبلاد الروم وبغداد وروسيا وأوربا[387] وبتأثير من هؤلاء ازداد كُرهُهُ للمسلمين [388] حتى إنه أصدر قراراً بإذاء جميع المسلمين وجبهم بناءاً على نصيحة الراهب توين ولكن مهاجمة كلب للراهب الذي كان يحمل نص القرار لتعميمه على أرجاء الدولة وتمزيقه شر ممزق جعل كيوك يتشاءم ويعدل عن قراره[389]. وعلى أية حال فإن المكانة التي حازتها سيورقتيتي على عهد اوكتاي استمرت في عهد كيوك خان على الرغم من رفضها الزواج منه على عهد ابيه اوكتاي خان الذي كان قد اقترح عليها بعد وفاة زوجها تولوي الزواج من كيوك ولكنها اعتذرت بحجة أنها تريد أن تتفرغ لتربية أبنائها [390] ولهذا أثرت سيورقتيتي

(384) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 198. إقبال: تأريخ مفصل إيران، ص176، وللمزيد من الأمثلة على ما أبدته من اهتمام تجاه رعاياها من المسلمين وغيرهم ينظر الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص186–187.

(385) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي،م 1، ص237. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 184. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص678. ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص251.

(386) عن الموقف الذي اتخذه جنكيزخان وابنه اوكتاي تجاه الرعية بمختلف أديانهم ينظر ارنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص251.

(387) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص237.

(388) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص184–188.

(389) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 679. تركستان نامه، ص1007.

(390) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص171.

أن تتعامل بعد هذا الرفض بحذر شديد مع كيوك المعروف عنه البطش والتهور تجاه من يشك في ولائهم له[391] ، وحضرت مراسيم تنصيبه للخانية مع ابنائها قبل الجميع مزدانين بأنواع الزينات كدلالة على فرحها بالمناسبة[392].

وبعد مباشرة كيوك مهام الخانية قرب ابنها منكو وجعله يقضي في قضية تآمر عمه اوتجكين [393] التي سبقت الإشارة إليها، وعندما قام كيوك بفحص ما للأسرة المالكة من موارد مالية كان قد لاحظ مخالفات خطيرة ارتكبها أغلب الأمراء باستثناء سيورقتيتي وابنائها فقد اتضح أنهم وحدهم قد تصرفوا على أساس الأمانة التامة[394].

وهكذا لا يوجد هناك ما يشير إلى حدوث ما يسيء إلى أبنائها غير ان هذا لم يمنع من امرأة ذكية تفهم في السياسة من أن تقتنص الفرصة السانحة من اجل إيصال ابنها للخانية من خلال إدراكها بأن مفاتيح هذا الأمر بيد عميد الأسرة الجنكيزخانية باتو بن جوجي صاحب بلاد القفجاق[395] فأخذت التقرب منه بعد أن أدركت أن صحة كيوك في تدهور سريع [396] وان كيوك يضمر الغدر بباتو [397]

(391) عن شخصية كيوك العدائية ينظر: الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص231 . الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 182–188. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص676.

(392) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص230.

(393) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص234–235. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص182.

(394) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص183.

(395) عن مكانة باتو كعميد للأسرة الجنكيزخانية وصاحب القرار في توجيه شؤون المغول ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 121، 198 – 199، 202، بارتولد: مادة باتوخان، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص256 – 257.

(396) عن مرض كيوك واسباب تدهور صحته ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص188.

(397) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 680. بارتولد: مادة باتو خان، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص256.

ولهذا ما ان تحرك كيوك تجاه باتو حتى اعلمت الأخير بالأمر وشاءت الأقدار أن يتوفى كيوك في 9 ربيع الثاني سنة (647هـ/ 1249م) ليتجنب الطرفان القتال بوفاته ولتحصد سيورقتيتي من بلاغها هذا العرفان من باتو [398] الذي سيكون له دور مهم في إيصال ابنها للخانية.

بوفاة كيوك خلا منصب الخانية من شاغله فاتجهت الأنظار نحو باتو في تقرير من يتولى تدبير شؤون الحكم لحين اختيار من يخلف كيوك على منصب الخانية، ولم يحدث في حياة كيوك أن اختار ولياً للعهد ليخلفه وهذا ما زاد من تعقيد أمر الاختيار ولاسيما أن الأمراء سبق لهم ان تعهدوا لكيوك[399] أن لا تخرج الخانية عن نسل عائلة اوكتاي خان وكان الوحيد الذي لم يعطِ مثل هذا التعهد هو باتو بحكم انه لم يحضر ((القوريلتاي)) الذي فيه جرى تنصيب كيوك للخانية بعد قسم يمين الولاء [400] ولذلك كان باتو في حل من هذا الأمر ومع ذلك كان باتو أكثر الأمراء حرصاً على التقيد بالأصول المغولية التي تقتضي ان تتولى الزوجة الاثيرة [401] أو الابن الأصغر للخان المتوفى مقاليد الحكم لحين عقد ((القوريلتاي))[402] الذي فيه يتقرر من يحكم دولة المغول، وهكذا فوض باتو أرملة

Boyle: The Mongol World Empire , p. 340

(398) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 185. ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج 5، ص529. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص313. الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص391. زامباور: معجم الأنساب، ص306.
Saunders: The History of the Mongol Conquests, London, 1977, p.156.

(399) عن هذا التعهد ينظر. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 182. بارتولد: مادة باتو خان، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص257.

(400) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص676، 680.

(401) عن مكانة المرأة المغولية ودورها السياسي وتقلد مهام الحكم خلال الفترة الانتقالية، ينظر: قداوي: النساء الحاكمات في إمبراطورية المغول، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج4، م46، 1999م، ص142.

(402) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص199.

كيوك اوغل غايميش بتدبير مصالح البلاد، مع كبار أمراء الدولة ولاسيما مع الوزير جينقاي[403].

لم تحسن اوغل غايميش حكم البلاد إذ انشغلت في معظم أوقاتها مع السحرة وخرافاتهم تاركة امر شؤون الحكم لوزيرها جينقاي ولولديها اللذين تضاربت مصالحهم ((فصار في المكان الواحد ثلاثة بلاطات للحكام)) فاختلت الأمور وافلت الزمام[404] ولتدارك الحال طلب باتو من كافة أمراء البيت الحاكم يدعوهم للاجتماع في الاقماق الذي يبعد مسيرة سبعة أيام عن قيالق التي تقع بنواحي جبال الاطاو في سهل القفجاق للتشاور حول وراثة العرش[405].

وهنا أسرعت اوغل غايميش وتبعها بعدَها آبناها إلى مقر الاجتماع [406] أما أبناء اوكتاي وجغتاي أبوا الاستجابة لطلب باتو قائلين إن ((اونان وكلوران – مقاطعتين في منغوليا – هما الموطن الاصلي وحاضرة جنكيزخان ولسنا ملزمين بأن نخطوا خطوة إلى دشت القفجاق)) [407] اما سيورقتيتي فإنها استغلت الموقف لتكرر دعمها لمواقف باتو ولتظهر أنها لا ترفض له طلباً بأن دعت ابنها منكو بالقول ((ما دام الأبناء – وتقصد أبناء اوكتاي وجغتاي – قد خالفوا الأخ الأكبر

(403) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص240. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 285. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 186. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص242. عمران: المغول وأوربا، ص 55. شبولر: العالم الإسلامي، ص42.

(404) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص186. واكيم، سليم: إمبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، ص242.

(405) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص681. إقبال: تاريخ المغول، ص176.

(406) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2، ص193. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 198. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 682. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص143. واكيم: إمبراطورية على صهوات الجياد، ص243.

(407) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص198.

باتو ولم يذهبوا إليه، اذهب أنت مع أخوتك، وقم بعيادته)) فتوجه منكو وفق إشارة والدته قاصداً باتو الذي أثنى عليهم بالإجلال والتعظيم ممّا أثار حفيظة باقي الأمراء[408].

وبعد مداولات في أمر اختيار الخان أظهرت اغول غايميش ميلاً ليكون شيرامون الذي سبق أن اختاره اوكتاي ولياً للعهد ليكون خاناً من أجل تطبيق العهد الذي قطعه الأمراء بأن يبقى الحكم في أسرة اوكتاي [409] وجاء تفضيلها لشيرامون نكاية بولديها الصغيرين في السن واللذين كانا قد خرجا عن طوعها وعاثا فساداً[410] ولكن اعتراض باتو على هذا الترشيح أفسد هذه الرغبة الأمر الذي دفع أغول غايميش ومن قبلها ولديها على الانسحاب من المؤتمر والعودة إلى قراقورم[411].

وهكذا، أحدث غياب أولاد اوكتاي وجغتاي وانسحاب اغول وولديها انقساماً فاضطر باتو إلى تأجيل اتخاذ قرار لزمن آخر لغياب الإجماع الذي كان المغول يحرصون عليه كي لا تتصدع دولتهم.

تدهورت أحوال البلاد بفوضى سياسية عارمة بعد هذا المؤتمر [412] وأخذ الأمراء يحكمون ويتصرفون على هواهم من غير استشارة أحد أما عليّةُ القومِ فأنهم

(408) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص199.
(409) اقبال: تأريخ المغول، ص175.
(410) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص186.
(411) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص241، م2، ص193. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 8. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص682.
(412) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 201. واكيم: إمبراطورية على صهوات الجياد، ص242.
Boyle: The Mongol World Empire , p.340.

يميلون نحو الأمراء الذين يطيب لهم الميل نحوهم [413]، وقد ازدادت الفرقة بين الحكام الثلاثة مع مرور الأيام ويصف الحالة الجويني بالقول ((واستمال كل واحد منهم بعضاً من الأصدقاء والأقرباء حتى فشي أمر الخلاف وتجاذبته الأهواء وانحازوا عن جادة الصواب، وانعدمت حينئذ الحيلة لدى – الوزير – جينقاي وعجز عن رتق الأمور، وتاهَ عن الطريق الذي يساعده على تهدئة الأزمة لعدم انصياعهم لنصائحه فقد استبد الولدان بآرائهما الفجة في حين أن غايميش أبدت استعدادها لردع أهل الرأي والصواب مسايرة هواها))[414].

وأرسلت هي وابناها إلى باتو تحذره من أن يختار أحداً دون إرادتهم مدفوعين في ذلك بتحريض من قداق الذي كان مستشاراً لزوجها ومن أشد أعداء باتو[415] ولوضع حدٍ لهذه الفوضى اختار باتو ابن عمه منكو بن تولوي كأفضل مرشح للخانية[416] وأرسل من يعلم الأمراء وزوجاتهم من الأسرة الحاكمة أن اختياره لمنكو خان جاء لأن ((منكو هو من بين الأمراء الأنجال قد رأى بعينه قوانين جنكيزخان ومراسيمه وسمعها بأذنه)) وأضاف ((وهو من بين الأمراء الأنجال له الاستعداد والأهلية للخانية لأنه رأى الدهر خيَرهُ وشرَّه وذاق كل عمل حلوه ومره، وقاد الجيوش عدة مرات إلى أطراف، كما أنه يمتاز على الجميع بعقله وكفاءته... وإن مآلَهُ من وقار واحترام في نظر اوكتاي وبقية الأمراء الأنجال والجنود كان ولا يزال على أتم وجه، وقد أرسله القاءان – يقصد اوكتاي– كما أرسل شقيقه كولكان

(413) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص242. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص186.

(414) تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص242. وينظر كذلك واكيم: إمبراطورية على صهوات الجياد، ص242.

(415) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص243. واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، ص242.

(416) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص682. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص389. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص143 .

Boyle: The Mongol World Empire. p. 340.

وابنه كيوك معي، أنا باتو ومع اورده وأسرة جوجي كلنا دفعة واحدة إلى ولاية القفجاق والممالك الواقعة في تلك المناطق لكي نستولي عليها فأخضع منكو قبائل الاوليريك والقفجاق والزوقيناقين والجركس، كذلك قبض منكو على باجمان قائد القفجاق وعلى بومفاس قائد قبائل الجركس وعلى اجيس.. فالمصلحة تقتضي أن نجلسه على عرش الخانية))[417].

وإدراكا منه أن اختياره سيلقى معارضة عارمة من بعض أفراد الأسرة الحاكمة وعلى رأسهم اغول غايميش وولداها وأبناء اوكتاي وجغتاي فأنه دعا إلى مؤتمر مصغر حضره أخوة باتو وهم اورده وشيبان وتركاي وجميع أبنائهم ونسائهم وقراهولاكو من أبناء جغتاي ومنكو واخيه وبعض الأمراء من قادة الجيش، واتفق هؤلاء على إجلاس منكو على عرش الخانية[418].

وكالعادة المتبعة كان على منكو أن يأبى ويعارض، وأخيراً وقف أخوه موكاي اغول وقال ((لقد تعهدنا كلنا في هذه الجمعية وقررنا كتابة ألا نحيد عن أوامر باتو فكيف يعدل منكو عن رأيه الصائب)) فاستحسن باتو هذا القول والتزم منكو بهذا القرار ((وعندئذ نهض باتو جرياً على المعتاد وحل جميع الأمراء أحزمتهم ورفعوا قلانسهم وجثموا على ركبهم دلالة على الطاعة ثم بايع جميع الحاضرين منكو))[419].

انتشر خبر تنصيب منكو خاناً أعظم في جميع أرجاء الدولة [420] وهنا أخذت والدة منكو سيورقتيتي في استمالة الأمراء والعشائر ممّن لم يحضر المؤتمر وبالسبل كافة تدعوهم المشاركة في القوريلتاي القادم لأجل الحوز على تأييد

(417) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص199–200.
(418) ابن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص 261. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 200. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص 389. إقبال: تأريخ المغول، ص176. القصاب: مغول القفجاق، ص 71. بارتولد، مادة باتو، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص257.
(419) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص200.
(420) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص197.

الجميع غير انها جوبهت برد فعل عنيف من قبل أبناء أسرة اوكتاي وكيوك وأبناء جغتاي وبيسومونكا[421] بن جغتاي وهكذا انقسمت الأسرة الحاكمة قسمين الطرف المعارض تمثل بعائلة اوكتاي وجغتاي في مواجهة عائلة جوجي وتولوي ومرشحها منكو، حيث أرسل المعارضون الرسل عدة مرات يقولون ((إننا بعيدون عن هذا الاتفاق ولسنا راضين عن هذا الميثاق، وان الملك يصل إلينا بالإرث، فكيف نعطيه شخصاً آخر؟)) [422]. فرد عليهم باتو قائلاً ((لقد فكرنا في هذا الأمر بموافقة أعضاء الأسرة الحاكمة أنجزنا بصورة لا يمكن فسخها ولو لم يتيسر التصرف على هذا الوضع، وتقلد شخص آخر هذا المنصب غير منكوخان، لاختلت أمور السلطنة وصارت إلى حالة لا يمكن تداركها، وإذا تأمل الأبناء هذا الأمر ونظروا إليه نظرة المتبصر بعواقب الأمور، لاتضح انه قد روعي فيه جانب الأبناء والأحفاد لأن تدبير شؤون مثل هذا الملك العريض الفسيح الذي يمتد من الشرق إلى الغرب لا ينصلح بقوة سواعد الأطفال))[423].

لم يحصل بموجب هذه الاتصالات اتفاق، وبقيت سيورقتيتي ترسل الرسل بهدف الإقناع دون استجابة ومضى على هذا الأمر عامان وأمور البلاد تزداد تدهوراً. ولوضع حدٍ لذلك أخذ باتو يلجأ إلى صيغة الوعيد والتهديد [424] كما أمر أخويه بركة وتوقا تيمور وفي صحبتهم منكوخان ومعهما جيش جرار بالتوجه إلى كوران موضع قريب من قراقورم ليعقدوا هناك ((قوريلتاي)) عاماً وطلب من جميع

(421) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2، ص197. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 201. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 682. إقبال: تأريخ المغول، ص 176. بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص389.

(422) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص197. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص201.

(423) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص201.

(424) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص198. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص201.

الأمراء الحضور لإعلان ولائهم لمنكو والزم باتو اخويه بقطع رأس كل من يخالف هذا الأمر [425] وإزاء هذا القرار تسارعت المراسلات بين الجميع بهدف الحضور كي لا تطاح الرؤوس بعدما عرفوا أن لا حيلة لهم بالامتناع وهكذا غادر مقراتهم جمع من أمراء كيوك وبمعيتهم بيسو حفيد جغتاي وشيرامون ومنكدو حفيدا اوكتاي والتحق بهم جميع أبناء أخوة جنكيزخان وقراهولاكو بن جغتاي وقدان بن اوكتاي وخواجة بن كيوك، حضر كل هؤلاء ليجتمعوا مع بقية الأمراء المؤيدين لمنكو من أبناء عائلة جوجي وتولوي والمدعويين من بقية الزعامات ليعلن الجميع موافقتهم على خانية منكو[426] وكدلالة على ذلك رفع الجميع القلانس والقوا الأحزمة على أكتافهم وركعوا تسع مرات واجلسوا منكو على سرير الحكم في منطقة كوران وذلك في شهر ربيع الآخر سنة (649هـ/1251)[427]. بعدها أذن منكو بالاحتفال لمدة أسبوع ابتهاجاً بالمناسبة[428] وبذلك انتقل الحكم إلى أولاد تولوي الذين يمثلون الفرع الثاني من أسرة جنكيزخان.

---

(425) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 201 – 202. قزويني: تأريخ كزيدة، ص 587.ابن خلدون: تأريخ ابن خلدون، ج 5، ص529. القلقشندي: صبح الأعشى، ج 4، ص313. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص143. شاكر:التأريخ الإسلامي، ج7، ص141.

(426) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2، ص201–202. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 200. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص143.

(427) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2، ص202. ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص8. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 202 – 203. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص143. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص 196. ويشير الصياد في كتابه: المغول في التأريخ، ص 208 بأن تأريخ انتخاب منكو هو في شهر ذي الحجة سنة (648هـ/ 1250م) دون ذكر المصدر الذي اعتمده ويبدو لنا أن هذا التأريخ يعود إلى انتخابه في ((القوريلتاي)) الأول الذي حضره عدد قليل من الأمراء والذي اشرنا اليه في متن البحث.

(428) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص203.

لم تكن نية الأمراء المعارضين صادقة عندما منحو يمين الولاء لمنكو [429] إذ قبل أن تنقضي أيام الاحتفالات السبع دبر البعض من هؤلاء مؤامرة لقلب نظام الحكم عن طريق اغتيال منكو اشترك فيها شيرامون وناقو وتوتوق والثلاثة من احفاد اوكتاي – احضروا عدة عربات محملة بأكداس السلاح والعتاد ومغطات بالمأكولات والمشروبات ليدخلوها إلى مقر منكو بدعوة المشاركة لتقديم التهنئة في المأدبة ولكن تعطلت إحدى العربات ليطلب صاحبها من احد المارين مساعدته في إصلاحها فوقع نظر هذا الشخص على الأسلحة، وتظاهر وكأنه لم يرى شيئاً وعندما فرغ من الإصلاح ودع صاحب العربة دون أن يثير الشكوك، وكانت خطة المتآمرين أنهم في أثناء الحفل وعندما يصل منكو وأتباعه درجة الثمالة من السكر ينقضون عليه ثم يستدعون الفرقة العسكرية المكونة من خمسمائة فارس والتي كانوا قد تركوها خارج البلاط للسيطرة على مقر الحكم،ولكن فجأة اقتحم البلاط الرجل العارف بالأمر ليعلن بثبات ودون خوف أمام منكو قائلاً ((لقد شغلتم باللهو والطرب على حين أن الأعداء قد نهضوا لمهاجمتكم وهم يترقبون الفرصة وقد أعدوا أسباب القتال)) ثم سرد على منكو كل ما شاهده [430] وهكذا اتخذ منكو التدابير العاجلة بأن منع الدخول والخروج من مقر الاحتفال بالقبض على الأمراء الثلاثة دون مقاومة كما أرسلت فرقة عسكرية كبيرة تمكنت من احتواء الجند دون مقاومة وإلقاء القبض على كافة الأمراء المتعاونين معهم[431] ممّن كانوا في الفرقة المعدة للانقضاض على منكو[432]، في حين أصدر منكو العفو عن جميع الخدم

(429) بروكلمان: تأريخ الشعوب الإسلامية، ص389.

(430) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص 209–210. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص205–207، وأشار إلى هذه الرواية باقتضاب ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 8. وينظر كذلك العزاوي: تأريخ العراق بين احتلاليين، ج 1، ص144– 145.

(431) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214.

(432) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 9.الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص207. شبولر: العالم الإسلامي، ص 42 وقد ذكر الجويني أسماء عدد

والجنود الذين كانوا مع هؤلاء وطلب منهم ((إن يذهبوا إلى أماكنهم بالآلاف والمائة والعشرة لأنهم إذا مكثوا هنا فسوف يقتلون))[433].

أخضع منكو جميع المتآمرين للمحاكمة فأقروا جميعاً بذنبهم [434] وهنا استشار منكو كبار الأمراء من العائلة المالكة بخصوص الإجراء الواجب تنفيذه بحقهم فكان رأيهم إنزال القصاص بالقتل بحقهم، ومع ذلك تردد وأخذ يفكر زمناً في أمرهم بعد أن أودعهم في السجن، وبعد مدة دعا كافة الأمراء وأركان الدولة في بلاطه بإسداء نصيحة بما يرونه مناسباً في حق المتهمين، فأخذ كل منهم يتفوه بكلام لم يكن له اثر في نفس منكو، وكان من جملة الحضور الصاحب محمود يلواج الذي تنبه له منكو وقال له ((لما لا يقول الجد شيئاً؟)) فرد يلواج قائلاً ((الناس في حضرة الملك أن يكونوا أذناً تسمع فذلك خير من أي يكونوا لساناً يتكلم لكني أتذكر حكاية إذا أذن لي – الخان – فسوف أقولها فقال له منكو قُلْ – فقال يلواج لما استولى الاسكندر – المقدوني – على أكثر الممالك أراد أن يسير إلى الهند غير أن أمراء الدولة وأعيانها خرجوا على طاعته ورفضوا متابعته فأخذ كل منهم يعلن الاستقلال والاستبداد فلما عجز اسكندر عن إقناعهم أرسل رسولاً إلى بلاد الروم لدى وزيره المنقطع النظير أرسطو طاليس وأطلعه على تمرد أمرائه وعصيانهم وسأله ما التدبير في هذا الأمر ؟.. فدخل أرسطو ومعه الرسول إحدى الحدائق وأمر بأن تجتث الأشجار الكبيرة من جذورها وتغرس في موضعها الشجيرات الصغيرة الضعيفة، ولم يكن يجيب على ما طلبه الرسول وعندما مل الرسول الانتظار عاد إلى الاسكندر وقال له انه لم يعط أي جواب، فسأله الاسكندر ماذا شاهدت منه ؟ فأجاب دخل إحدى الحدائق وأخذ يقتلع الأشجار الضخمة ويغرس مكانها شجيرات صغيرة فقال الاسكندر لقد أجاب وأنت لم تفهم

كبير من هؤلاء الأمراء ولا مجال هنا لذكرهم، عن ذلك ينظر تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214.

(433) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص207.

(434) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2، ص214. بارتولد: مادة باتو، دائرة المعارف الإسلامية، م3، ص257.

مقصوده، ثم أهلك الأمراء المتسلطين الذين كانوا ثائرين ونصب أبناءهم مكانهم))[435].

أعجب منكو خان بذلك القول، وعرف انه ينبغي البطش بالأمراء المعتقلين وإحلال فئة أخرى مكانهم وكانوا سبعة وسبعين أميراً قتلوا جميعاً[436].

أما أغول غايميش التي امتنعت منح الولاء لمنكو ولم تحضر القوريلتاي فأرسل منكو رسولاً يستدعيها [437] فرفضت المثول أمامه وأجابته قائلة ((إنكم معشر الأمراء الأنجال قد تعهدتم وقدمتم وثيقة خطية بأن يظل الحكم دائما في أسرة اوكتاي خان وإلا تخالفوا أولاده – ولكنكم الآن قد نقضتم العهد ولم تنفذوا هذا الكلام))[438] فاستشاط منكو من جوابها هذا وعلى الفور أرسل من قبض عليها وعلى بعض إتباعها [439] وعلى والدة شيرامون الخاتون قداقاج [440] حيث اتهمهم بالأعداد لتنصيب خان آخر بدلاً عنه وما أن وصلت اغول غايميش حتى أمر بقتلها خنقاً وبقية من كان معها وذلك في رمضان سنة (650هـ/1252م)[441].

---

(435) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص209–210.

(436) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 210. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(437) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص217.

(438) الهمذاني:جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص212.

(439) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2، ص219. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(440) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص219. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، 212. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(441) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 9. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 212. العزاوي: تأريخ العراق بين احتلالين، ج 1، ص144. اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب، ص 196. عبيد، اسحق: الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس، مطبعة دارالكتب، بيروت، ص54. اقبال: تأريخ المغول، ص177.

5- منكوخان يواصل تصفية من اتهم بالتآمر عليه

بعد تصفية الـ 77 أميراً بقتلهم مع أوغل غايميش [442]، أراد منكوخان ان يعفو عن الباقين[443] ولاسيما عن أبناء عمومته ممن كانوا على صلة بالمتآمرين عليه سواءٌ بفعل مباشر أو بالتحريض أو ممّن عارض انتخابه خاناً وجميعهم ألصقت بهم تهمة التآمر غير أن مستشاريه والموالين له من أبناء أسرته والأمراء والقادة قالوا له ((ينبغي أن لا تتهاون في الخصم... ويبقى جذر الشجرة مراً، وان سقيتها بماء الخلد))[444] حينها أدرك منكو أن مثل هذا الرأي نابع من الإخلاص وليس من منابع النفاق فأمر بقتل كل أمراء السوء [445] ممّن كانوا على صلة بالمتآمرين، وبما أن معظم هؤلاء كانوا طليقي الأيدي فاستوجب الأمر إرسال قوات للقبض عليهم وتنفيذ أمر الخان بحقهم.

وطبيعي أن المتآمرين ومؤيديهم كانوا في معظمهم من أسرتي جغتاي واوكتاي أبناء جنكيزخان وهذا يعني أن منكو اصدر أمراً باستهداف هاتين الأسرتين ومناطق نفوذهما كي لا تقم لها قائمة ثانية وتهدد نفوذ عائلة منكوخان مستقبلاً وهذا ما حدث إذ أرسل منكوخان بجيشين عظيمين إلى الغرب قاصداً اولوس جغتاي واوكتاي أحدهما مؤلف من عشر تومانات من الجند بقيادة برنكوتاي لينيط به مهمة احتلال المناطق الواقعة بين قراقورم، وبيش باليغ امتداداً إلى حدود قياليغ. أما الجيش الثاني الذي كان يتألف من تومانين [446] فقد أرسل إلى بلاد القرغيز وكم جهود [447] وهاتان المنطقتان كانت تتحكم بهما اوغل غايميش زوجة كيوك ابن اوكتاي التي سبق أن أعدمت غير أن أتباعها بقوا

---

(442) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210–212.
(443) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214 .
(444) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص214 – 215.
(445) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص 215.
(446) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص 217.
(447) كم جهود: نهر في بلاد منغوليا حيث تنتشر حوله قبيلة النايمان وقبائل مغولية أخرى. الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص217، والهامش رقم (3).

موالين لها ومعارضين تنصيب منكو للخانية وكان على رأس هؤلاء القائد العسكري ايلجكتاي[448] بن اوكتاي أشهر قادة المغول الذي اشترك في العديد من الحملات العسكرية غرباً وشرقاً ولكن في النهاية سقط فريسة تآمره على منكو عندما وقع اسيراً بيد برنكوتاي الذي أرسله إلى منكو ليقطع رأسه وقدميه[449]، وتبعه آبنُهُ[450] وأمراء آخرون حوكموا ثم قتلوا[451].

أما اولوس جغتاي الذي كان يمتد على بلاد ما وراء النهر فكان زعيمه بيسو الذي سبق وان نصبه كيوك حاكماً عليه بدلاً من قراهولاكو بحكم الصداقة التي كانت بينهما حيث كنا قد اشرنا إلى ذلك من قبل وقد بقي بيسو وفياً لعائلة كيوك عندما عاضد اوغل غايميش في سعيها لحصر الخانية بعائلة زوجها ولذلك شارك الآخرين العداء لمنكو وعندما تمكن منكو من اوغل غايميش وأتباعها في منغوليا توجه لتصفية الحساب مع بيسو الذي أرسل عليه منكو جيشاً وضع على رأسه قراهولاكو فتمكن هذا من الإيقاع ببيسو ليأسره [452] كما القي القبض على زوجته توقاش خاتون ويبدو إنها كانت من اشد المحرضين لزوجها ضد منكو ولهذا أصدرت الأوامر بقتلها أمام زوجها بأن تركل وتسحق عظامها تحت سنابك الخيل

(448) عن شهرة ايلجكتاي كمحارب ينظر: الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص31 ،63.

(449) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2، ص 215. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210.

(450) ضمت قائمة الـ 77 أميراً الذين قتلهم منكو اثنان من أبناء ايلجكتاي ابن اوكتاي خان وبذلك تكون أسرة ايلجكتاي قد قتل منها 4 أفراد الأب وثلاثة أبناء لاشتراكهم في هذه المؤامرة عن ذلك ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 210–212.

(451) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص219.

(452) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

تشفياً لما كانت تحمله من حقد دفين على عائلة باتو ومنكوخان [453] ثم الحق بها زوجها وعدد من أتباعه[454].

وهنا يشير بارتولد بأنه بعد مقتل هؤلاء صدرت الأوامر بقتل جميع رجال بَيتيْ اوكتاي وجغتاي حيث قضي على معظمهم، أما أطفالهم فقد تم جمعهم في بلاط الخان حيث وجه منكو بتربيتهم بما يتوافق مع رغباته لا كما يريد لهم أهلهم[455]. وإذا كان العقاب قد شمل بالقتل من تآمر على منكو من الأسرة الملكية الحاكمة فإن عدداً آخر من الأمراء من خارج بيت الأسرة هم الآخرون وقعوا ضحية هذا التآمر بحكم عملهم تحت سلطة هؤلاء أو أنهم كانوا من المحرضين لهم ومنهم الوزير جينقاي الذي اضطر تأييد اوغل غايميش بحكم انه كان وزيراً لزوجها كيوك ومن قبل لوالده اوكتاي[456] فليس من الوفاء العمل ضدها ولذلك لم يؤيد وصول منكو للخانية فدفع بذلك رأسه ثمناً لموقفه هذا، أما قداق الذي شغل منصب الحاجب عند اوغل غايميش فكان من اشد مناصريها وأكثر الأمراء من غير أبناء العائلة الملكية معارضة لتنصيب منكو للخانية[457] وقد وصفه الهمذاني ((بأنه المهيج لتلك الفتنة والمثير لغبار تلك الوحشة)) [458] لذلك كان قتله أمراً مفروغاً منه إذ سلما الاثنين بعد القبض عليهما إلى أحد الأمراء الذي سبق ان

(453) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م2، ص219. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص210.

(454) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 210. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(455) تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص689.

(456) عن عمل جينقاي كوزير عند اوكتاي وكيوك ينظر بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص662 ، 678.

(457) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص212.

(458) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص110.

الحق الضرر به فقتلهما شر قتلة [459] وذلك في رمضان سنة (650هـ/ 1252م)[460].

وتبع الاثنين أيضاً ايديقوت رئيس الايغور الذي كان من أشد المناصرين لأوغل غايميش وفي عهده أصاب المسلمين في بلاد الايغور الكثير من الضرر ولاسيما في عاصمة الايغوربيش باليغ وقيل ايديقوت دبر بالاتفاق مع اغول غايميش التي هي الأخرى كانت تناصب الإسلام العداء بقتل جميع المسلمين ببلاده في أثناء صلاة الجمعة، وشاءت إرادة الله أن تقتل اوغل غايميش قبل تنفيذ رغبتها ليلقى القبض على ايديقوت وقد قام منكو خان بنفسه بمحاكمته.

وكانت إحدى التهم الموجهة إليه التآمر عليه ومحاولة قتل المسلمين من رعايا الخان وباعترافه عند مواجهته بالشهود أقر ايديقوت بجرمه فحكم عليه بالإعدام وتم تنفيذه على يد أخيه اوكنج وأُعدِمَ معه اثنان من كبار أمرائِهِ[461].

وبتصفية هؤلاء يكون قد أسدل الستار على جميع المتآمرين لينصرف منكوخان بعد ذلك في ترتيب شؤون دولته [462] والقيام بأضخم حملتين عسكريتين بهدف التوسع شرقاً وغرباً الأولى استهدفت استكمال فتح ما تبقى من بلاد الصين والثانية لإسقاط الخلافة العباسية في بغداد [463] وقبل أن يحقق أحلامه في كلا الجبهتين كانت الاقدار بالمرصاد له ليتوفى وهو في طريقه إلى فتح أقاليم الصين الجنوبية في ولاية تنكياس وذلك في محرم سنة

(459) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 210. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص683.

(460) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص212.

(461) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 2،ص220. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 213. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص685-686.

(462) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص214.

(463) كوك، ريجا: بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، ط1، بغداد 1962 م، ج1، ص200-201.

(655هـ/ 1257م)[464] لتنشغل بعد ذلك الأسرة الحاكمة في صراع أسري حول من يشغل خلافة منكوخان.

6- أريق بوقا – قوبلاي والحرب الأهلية على خلافة منكوخان:

أحدثت وفاة منكو خان المفاجئة صدمة للعائلة الحاكمة ويبدو أن أسرة منكو لم تكن مهيأة لمواجهة موقف من يخلفه لأنها كانت منشغلة بأمور تتعلق بدفنه والتعزية [465] ليستغل ذلك أريق بوقا شقيق منكو الذي كان منكو قد عينه نائباً عنه وأبقاه في قراقورم أثناء حملته على الصين الجنوبية[466] بأن اعتبر نفسه بمثابة خاناً للمغول [467] دون أن يحصل على تفويض بمؤتمر ((قوريلتاي)) كما جرت العادة عند المغول، وفي المقابل أعلن قوبلاي الذي كان يقود حملة عسكرية مع أخيه منكوخان في الصين الجنوبية نفسه خاناً [468] أيضاً وهذا يعني أن الأسرة الحاكمة انقسمت بين الابن الاكبر قوبلاي والابن الأصغر أريق بوقا، وأصبح لأول مرة للمغول خانان الأول في منغوليا والثاني في الصين.

وفي حقيقة الأمر فإن كلا الخانين لا يمتلكان الشرعية في زعامتهما للمغول ذلك لان العرف المغولي يقتضي أن تكون هناك فترة انتقالية بين وفاة الخان وانتخاب خان جديد خلالها يحكم ابن الخان المتوفى أو زوجته الأثيرة [469] وهذا ما لم يحدث على الرغم من أن زوجة منكو الخاتون قوتوقتاي وابنيها الأكبر اسوتاي والأخر اورونكتاش كانا موجودين في قراقورم حيث أقاما مراسيم العزاء

---

(464) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص223–225.
Boyle: The Mongol World Empire , p. 341.

(465) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص225.

(466) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139.

(467) قداوي: النساء الحاكمات في إمبراطورية المغول، ج4، م46، ص154
Boyle: The Mongol World Empire , p. 342.

(468) ابن العبري: تأريخ الدول السر ياني، ص139
Boyle: The Mongol World Empire , p. 341 . Favre: Larussla Etla Turaaie ((Pariss)) p. 41.

(469) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص132. الهامش رقم (4).

لمنكو[470] غير انه لا يوجد ما يشير إلى مطالبتها بالخانية لابل المعلومات تؤكد أنهما وقفاً مع باقي أمراء قراقورم إلى جانب أريق بوقا ضد قوبلاي [471] وهذا ما سنلاحظه من تطور الأحداث وما يستغرب له كذلك أن الصراع الذي تفاقم بين الأخوين قوبلاي وأريق بوقا الذي استغرق سنوات عديدة [472] لم يشترك فيه مغول القفجاق من عائلة باتو ولا مغول إيران من عائلة هولاكو شقيق الأخوين قوبلاي وأريق بوقا [473] وربما حدث ذلك لبعد المسافة بينهما إذ كان هولاكو عندما علم بوفاة أخيه منكو كان يحارب في بلاد الشام سنة (658هـ /1260م)، وكان قد مضى أكثر من سنتين على الوفاة والصراع[474] أما مغول القفجاق فكان يتزعمهم خلال هذه الفترة بركة خان بن جوجي ومعلوم أن بركة كان قد أعلن إسلامه [475] وبإسلامه لم يعد يخضع شرعاً لحكم قراقورم الوثني فضلاً عن بعد المسافة وانشغال كلا الجانبين أي بركة وهولاكو في صراع انبثق بعد أن حمل بركة هولاكو مسؤولية قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة (656هـ/ 1258م) وقتل آلاف

(470) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص225.

(471) يشير رانسيمان ان أمراء العائلة الملكية الحاكمة في قراقورم كانت تساند أريق بوقا وتؤيد اعتلاءَهُ عرش الخانية ينظر تأريخ الحروب الصليبية، ج3، ص531.

(472) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139.

Favre, LaRussia, p 41.

(473) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.

(474) قداوي: تحالف ملوك ارمينيا الصغرى وأنطاكية الصليبية مع المغول، ص160.

(475) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك: الوافي بالوفيات، منشورات تشايزبفسبادن، ط 2، 1981 م، ج10، ص118. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر: تأريخ ابن الوردي، منشورات المطبعة الحيدرية، ط 2، النجف، 1969م، ج2، ص312. ابن عربشاه، شهاب الدين احمد بن محمد: عجائب المقدور في أخبار تيمور، ط 1، القاهرة، 1285هـ، ص53. العيني: عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة، 1987م، ج1، ص362

. Favre: La russia , p. 40.

المسلمين فأراد أن يثأر لهم [476] ولهذه الأسباب تعطل اشتراكهما في الحرب التي دارت بين قوبلاي وأريق بوقا.

وكانت بداية الصراع أن أرسل أريق بوقا إلى أخيه قوبلاي رسولاً يطلب منه إيقاف عملياته العسكرية في ولاية تنكياس والعودة إلى قراقورم لأداء مراسيم العزاء غير أن قوبلاي بدلا من الاستجابة لما طلب منه أخفى أمره وواصل القتال في تنكياس حتى بلغ مدينة اوجو الصينية ليحتلها وفيها أقام مراسيم العزاء بوفاة أخيه منكو[477] وعلى ما يبدو آن عدم حضور قوبلاي إلى قراقورم وقبل ذلك عدم مصاحبته لجثمان أخيه إلى منغوليا وترك الأمر لزوجته قوتوقتاي وابنها اسوتاي[478]، كل ذلك ترك أثراً سيئاً في نفس الزوجة والابن ليتخذا بعد ذلك موقفاً سلبياً من قوبلاي بعدم اعتراضهما على تنصيب أريق بوقا نفسه خاناً للمغول.

كرر أريق بوقا طلب حضور قوبلاي إلى قراقورم للتعزية، وهذه المرة عرض قوبلاي الأمر على الأمراء من أسرته فقالوا جميعاً ((ان هذا عين المصلحة وان الذهاب لواجب)) ولكن الظرف يقتضي ان ننصرف للراحة أولا كل إلى دياره ثم نجتمع ثانية ونحضر معاً التعزية [479] ويشير رشيد الدين الهمذاني أن طلب أريق بوقا كان القصد منه أن يعتقل قوبلاي وجميع الأمراء بمعيته حال وصولهم تمهيداً لتنصيب نفسه خاناً[480] ولكن افتقار أريق بوقا للخبرة السياسية لكونه لا زال شاباً يافعاً وتسرعه كان سبباً في إفلات قوبلاي لما أعد له من مصيدة، إذ ما أن وصل رسول قوبلاي إلى قراقورم وبلغ أريق بوقا بما اتفق عليه حتى قال جميع الأمراء الذين كانوا حاضرين ((إلى متى نستطيع أن ننتظرهم؟ وعلى اثر ذلك اتفق الجميع

(476) الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو: خلاصة الذهب المسبوك مختصر في سير الملوك، مكتبة المثنى، بغداد، ص 291. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص449– 450.

(477) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص226، 246.

(478) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص226.

(479) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247.

(480) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247.

وأقروا قرارهم على اجلاس أريق بوقا على عرش الخانية)) [481] وتلك الجماعة كانت تتكون من أسوتاي واورنكتاش ابني منكوخان والغو حفيد جغتاي ونايمتاي بن طغاجار وسبعة أمراء آخرين من أحفاد أبناء تولوي وأوكتاي بن جنكيزخان ذكرهم بالاسماء رشيد الدين الهمذاني مدعمين بعدد من الخواتين والأمراء من غير أبناء العائلة الملكية[482].

وبعد هذا التتويج أوفد المجتمعون الرسل إلى ولايات المغول الشرقية وأقوامهم وأشاعوا قائلين على لسان أريق بوقا ((إن هولاكو وبركة خان والأمراء من أسرة جنكيزخان من الأحفاد قد اتفقوا على اعتلائي عرش الخانية)) [483] عدَّ قوبلاي ان أريق بوقا بعمله هذا قد شق عصا الطاعة وتمرد عليه [484] بوصفه كبير أسرة تولوي، وأبلغ الأمراء من أسرته ومن قادة الجيوش ما قام به أريق بوقا فجميعهم عدوا عمله غير شرعي وأرسلوا من ابلغ أريق بوقا برأيهم [485] ولكن أريق لم يقبل بالتراجع، الأمر الذي دفع أمراء قوبلاي على تنصيب قوبلاي خاناً أعظم وأجلسوه على كرسي العرش [486] في مدينة منك فو الصينية وذلك سنة (658هـ/ 1260م) وكان قد بلغ السادسة والأربعين من العمر وجرياً على رسومهم وعاداتهم أدوا مناسك الاحتفال وكتبوا وثائق خطية بتأييدهم له [487] ثم أوفدوا عنهم مائة

(481) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247– 248.

Favre: Larussia , P. 41.

(482) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص247–248.

(483) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 348. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.

(484) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص139.

(485) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص248–249.

(486) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص249.

(487) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 249. الصياد:المغول في التأريخ، ص217.

رسول ليقولوا لأريق بوقا ((لقد تشاورنا نحن الأمراء الانجال والأمر اء معاً وأجلسنا قوبلاي قاآن على عرش القاآنية)) [488] والأمراء الأنجال هم من العائلة الجنكيزخانية والتي يبدو أن كل واحد منهم ارسل من يتكلم بلسانه ليعلن لأريق بوقا التأييد لقوبلاي ولذلك كان هذا العدد الكبير من الرسل [489].

قتل أريق بوقا الرسل المائة [490] كناية عن رفضه لهذا التتويج وإعلان الحرب، فأمر بتجهيز جيش وضع قيادته لقراجا بن أودور وعدة من أمراء بيته وأرسلهم لمحاربة قوبلاي، فلما التقى الجمعان تحاربا فهزم جيش أريق بوقا فكان ذلك صدمة لأريق بوقا[491].

كانت العاصمة قراقورم تعتمد في مأكولاتها ومشروباتها على بلاد الصين حيث تجلب إليها الميرة بالعربات [492] فمنع قوبلاي ذلك فحدثت من جراء ذلك مجاعة فيها [493] لهذا كان ضرورياً أن يستعين أريق بوقا بتركستان ليعوض النقص، وكانت التركستان تابعة لاولوس جغتاي وكان يحكمها في هذا الوقت اورقنة خاتون زوجة قراهولاكو حفيد جغتاي [494] وكانت اورقنة تقف إلى جانب أريق بوقا،وقد قام قوبلاي بمحاولة الاستيلاء على اولوس جغتاي في التركستان وارسل لهذا الغرض أميراً من أمراء بيته هو أبيشقة بن بوري، ولكن أنصار أريق بوقا قطعوا عليه الطريق ببلاد التنكوت الصينية ثم لم يلبث أن قتل بأمر أريق بوقا [495] وعلى غرار أخيه فإن أريق بوقا بدوره لم يعتمد على اورقنة وبدلاً من

(488) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص249.
(489) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(490) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(491) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(492) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.
(493) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(494) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص250 .
(495) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص699.

تعزيز علاقته بها أرسل أميراً عنه على رأس جيش ليضمن لنفسه احتلال تلك البلاد وانسيابية المؤن منها وليقطع ثغور جيحون على بركة وهولاكو اذا ما فكر في تأييد المطالب للأخ الأكبر قوبلاي[496].

وكان الذي كلف بانتزاع تركستان الأمير الغو بن بايدار بن جغتاي [497] الذي استطاع أن يجمع حوله أفراد أسرة جغتاي وانصارهم الذين انقلبوا على اورقنة خاتون لقتلها لزوجها قراهولاكو طمعاً بزعامة اولوس جغتاي [498] وهذا ما سهل لألغو مهمة السيطرة على بلاد ما وراء النهر بما فيه مدينة كاشغر وبخارى دون مقاومة لانضمام عسكر اورقنة إلى الغو[499].

ولم يكتفِ ألغو بما أحرز من مكاسب بل أرسل اوججر إلى خوارزم وسداي ايلجي إلى افغانستان وكانت القوة المغولية التي ارسلت للعمل بالهند في عهد منكوخان تحت قيادة سالي بهادر فأفلح سداي ايلجي في استمالة كبار عسكره حتى سلموه قائدهم وبهذا تأكد سلطان الغو على تلك البلاد[500] غير ان الغو كان يعمل بكل طاقته من أجل مصلحته الشخصية ولم يكن في نيته البتة تنفيذ رغبات سيده أريق بوقا. انكشف ذلك عندما ارسل أريق بوقا مبعوثين عنه إلى التركستان حيث جمعوا الأموال والمؤن والخيل والأسلحة وعندما هموا بالرحيل إلى أريق بوقا منعهم الغو ثم قتلهم وصادر ما جمعوه ووزعها على جنده ليعلن بعد ذلك الحرب على أريق بوقا[501].

(496) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص250.
(497) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 254. فامبري: تأريخ بخارى، ص190 – 191.
(498) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص144.
(499) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص254.
(500) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص700.
(501) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 254–255. فامبري: تأريخ بخارى، ص190.

وكان أريق بوقا خلال ذلك بأمس الحاجة للمؤن والسلاح فالعاصمة قراقورم اجتاحتها المجاعة، كما ان قوبلاي خان كان قد قاد جيشاً ضخماً بلغ به حدود قراقورم وهذا ما أربك أريق بوقا الذي غدا حائراً مع جيش له هزيل وجائع[502].

ولمواجهة الموقف أرسل أريق بوقا مبعوثاً عنه إلى قوبلاي يعتذر لأخيه عما فعل ويقول ((إننا نحن الاخوة الصغار قد ارتكبنا ذنباً مدفوعين بدافع الجهل وأخطأنا وانت أخي الاكبر تعرف الجزاء الذي تستحقه، وحيثما تأمر سوف اجيء، ولن اتجاوز فرمان أخي الاكبر وسوف أشبع الدواب وأسمنها ثم اتوجه إلى الحضرة))[503] إنطلت هذه الخدعة على قوبلاي الذي قال ((إن الصبية كانوا قد ضلوا الطريق لكنهم استيقظوا الان وتنبهوا وبلغوا درجة العقل والفهم وأقروا بذنبهم)) وأمر قوبلاي قسماً كبيراً من عسكره بالعودة إلى الصين، كما سرح عدداً اخر من القطعات وأمر جندها بالعودة إلى اوطانها، وأبقى ابن عمه بيسونككة معه على راس مائة الف جندي منتظرين أريق بوقا[504].

ولكن أريق بوقا بعد ان سمن خيوله وأراحها لم ينفذ كلمته ولم يفِ بوعده فسار مرة أخرى لمحاربة قوبلاي وعندما اقترب من عسكره أرسل لقائد عسكر قوبلاي الأمير بيسو يقول له ((انني اجيء اليكم طائعاً)) ولكنه غافله وحمل عليه فجأة وهزمه هو وجنده وشتتهم وبالكاد استطاع بيسو الوصول إلى قوبلاي ليبلغه بأن ((العدو قد وصل)) فما كان من قوبلاي الا ان انسحب بما تبقى له من جيش إلى منطقة القرغيز في أعالي نهر الينسي في الصين وليفاجأ هناك باندلاع اضطرابات ضده، وبذلك تخلى قوبلاي، مؤقتاً عن منغوليا لغريمه لحين القضاء على الاضطرابات هناك[505].

---

(502) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 251– 255. فامبري: تأريخ بخارى، ص190 –191.

(503) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص251.

(504) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص251– 252.

(505) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص252–253.

اغتنم أريق بوقا هذه الفرصة ليلتفت إلى عدوه في الغرب الغو الذي كان قد تحسب لأريق بوقا وأعد له جيشاً قوامه مائة وخمسون ألف فارس [506] ليلتقي الجيشان عند بحيرة سوم كول ((سيرام)) غير بعيدة عن مدينة يليكين وفيها الحق أريق بوقا هزيمة نكراء بجيش الغو، ويعود الفضل في ذلك إلى أسوتاي بن منكوخان الذي استدرج الغو إلى وادي ضيق يعرف بممر تلكي لينقض عليه فاضطر الغو للهرب إلى التركستان الشرقية وذلك سنة (662هـ/ 1264م)[507].

خيم أريق بوقا في منطقة الماليق ((وادي ايللي)) لقضاء الشتاء فيها،وهناك ارتكب أريق بوقا مجزرة كبرى بحق جند الغو ورعاياهم ممن وقع في الأسر وكانوا بأعداد كبيرة جداً،وهذا ما أثار حفيظة أمرائه الذين قالوا ((إن أريق بوقا يقتل بلا حياء جنود المغول الذين إدخرهم جنكيزخان)) ولهذا تخلوا عنه والتحقوا بقوبلاي[508] وفي ذات الوقت كان أريق بوقا قد ضيّقَ على أهالي الماليق التي كانت قد انتشرت فيها المجاعة لمصادرة أريق بوقا قمحهم وإطعامه لخيله غير أن هذا عادَ بالوبال على أريق بوقا لأن خيله التي تعودت على الحنطة مرضت في الربيع عندما أخذت إلى المراعي ونفقت كلها الا القليل [509] كما ان اورونكتاش بن منكو خان الذي كان على رأس فرقة عسكرية مرابطة في منطقة التاي في وادي يقال له جابقان موران في منغوليا مهمتها التصدي لأي تسلل قد تقوم به قوات من قوبلاي إلى منغوليا، حدث له تمرد قاده كبار أمراء جيشه الذين

(506) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 254. فامبري: تأريخ بخارى، ص191.

(507) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 255. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص701.

(508) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 256. فامبري: تأريخ بخارى، ص191.

(509) همذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 256. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص701.

اشاروا عليه بالحفاظ على حياته اذا ما تبعهم مع بقية الجيش والانضمام إلى قوبلاي فوافقهم [510] كما ان ابن أريق بوقا استجاب لطلب عمه قوبلاي بأن ترك معسكر والده حاملاً معه ختم والده ((التمغا الكبير)) ليسلمه لعمه قوبلاي[511].

وبذلك يكون أريق بوقا قد بلغ حالة من الضعف ممّا جعل ألغو الذي استجمع ما كان قد تشتت من جيشه بان انتزع من أريق بوقا سمرقند وبخارى وأترار واستعان بمسعود بن محمود يلواج ليكون صاحباً لديوانه وأعاد اورقنة خاتون وأكرمها ثم تزوجها وأخذ يستعد للانقضاض على أريق بوقا ولكن الاقدار حالت دون ذلك ليتوفى في العام نفسه أي سنة (662 هـ/ 1264م) [512].

أما أريق بوقا الذي تخلى عنه الجميع باستثناء ابن اخيه أسوتاي بن منكوخان فلم يعد لهما مسلك الا التوجه إلى قوبلاي فأعلنا خضوعهما [513] وكانت الاجراءات المتبعة في مثل هذه الحالات ان تجري محاكمتهما وهنا استسلم قوبلاي لعواطفه ولصلة الاخوة وحميميتها فقال مخاطباً أخاه ((يا أخي العزيز أكنا نحن على حق في هذا العناد ام أنتم ؟)) فأجاب أريق بوقا ((نحن في ذلك اليوم – وانتم هذا اليوم)) [514].

وبعد اجراءات شكلية للمحاكمة [515]عفا قوبلاي عنهما [516] وبعد سنتين من ذلك توفى أريق بوقا وذلك سنة (664هـ/1266م) اما قوبلاي الذي كان قد

(510) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص257.
(511) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص701.
(512) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 144، 257. فامبري: تأريخ بخارى، ص191.
(513) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص258.
(514) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص258.
(515) فصل رشيد الدين الهمذاني كثيراً في الحديث عما جرى في هذه المحاكمة من أقوال المتهمين والشهود وللاطلاع ينظر، جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 258 – 263.
(516) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص261 – 262.

أقرت خانيته سنة (658هـ/1260م) في الصين والذي لم يعد هناك من ينافسه عليها بعد ان استسلم له أريق بوقا فغدا الامبراطور او الخان الأعظم للمغول [517] حيث اعترف به الجميع دون تردد وأخذت الوفود تصل من كل الولايات تعلن الولاء وفي مقدمتهم أمراء آل جنكيزخان [518] من البيوتات الاربعة – اوكتاي وتولوي وجغتاي وجوجي – وبذلك يكون الصراع قد انتهى بعد أن ذهبَ ضحيتُهُ عشرات الالاف من أمراء وجند ورعايا المغول.

7. قوبلاي خان ونايان ومعركة الدم

انشغل قوبلاي خان بعد ان استقر حكم الامبراطورية المغولية له باعتراف الجميع به خاناً أعظم للمغول بما فيهم أريق بوقا بمواصلة ما كان قد بدأه شقيقه من قبل منكو خان للسيطرة على كامل ولايات الجنوب الصيني [519]. وتطلب تحقيق هذا الأمر حملات عسكرية متتالية امتدت بحوالي ستة عشر عاماً حتى تمكن سنة (688هـ/1288م) من الاستيلاءعلى تلك الولايات وانهاء حكم أسرة سونج على أقاليم الصين الجنوبية، وبذلك يكون قوبلاي خان اول امبراطور يستطيع ان يوحد الصين بعد مرور 380 سنة على التجزئة[520] وفي عهده شملت امبراطورية المغول اقصى اتساع لها فضمت اضافة إلى الصين شبه الجزيرة الكورية والهند الصينية والتبت والهند إلى حدود نهر الكنج وايران وآسيا الصغرى ((بلاد الاناضول)) وشبه جزيرة القرم وجزء كبير من روسيا إلى حدود نهر الدنيبر[521] وبهذا تكون على عهده قد ضمت اجزاءً واسعة من شرق آسيا وجنوبها

(517) ابن العبري: تأريخ الدول السرياني، ص 139. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيز خان))، ص262. واكيم: امبراطورية على صهوات الجياد، ص175.
(518) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص262.
(519) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص267–269.
(520) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص267–269. الصياد: المغول في التأريخ، ص218.
(521) براون: تأريخ الأدب في ايران، ص563. اليسيف، دانييل: تأريخ الصين، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2007م، ص111.

لم تكن من قبل ضمن املاك امبراطورية المغول ككوريا والهند الصينية[522]. حافظ قوبلاي خلال حكمه لها على وحدتها ولم يشهد عهده حركة استهداف لمركز الخانية باستثناء محاولة نايان انتزاع الخانية لنفسه [523]. ونايان هو ابن طغاجار (أي انه ابن حفيد اوتجكين[524] أخو جنكيزخان)[525] وهذا يعني ان نايان كان ابن عم لقوبلاي وكان والده طغاجار يحمل رتبة نويان [526] في جيش قوبلاي اشترك في معظم الحملات العسكرية لقوبلاي خان وكان أكثر القادة العسكريين تقرباً للخان [527]، وكانت عائلة اوتجكين منذ عهد جنكيزخان قد حازت على حكم مقاطعات في إقليم الصين الشمالية [528]، وقد توارثها أبناء اوتجكين وأحفاده فيما بعد وعلى ما يبدو ان طغاجار كان له في هذا الإقليم نصيب ولكن المصادر التي بين أيدينا لا تعطينا معلومات عن ذلك، وماركوبولو يشير بكل وضوح إلى ان قوبلاي خان كان قد منح ابن طغاجار الأمير نايان حكم افضل أربعة ولايات في الصين الشمالية هي تشورزا وكارلي وبارسكول وستينجوي على الرغم من ان عمره لم يكن قد تجاوز الثلاثين عاماً[529]، وقد حاز نايان على محبة شعب هذه الولايات

(522) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص269. الصياد: المغول في التأريخ، ص 218.

(523) ماركو بولو: رحلات ماركوبولو، ص129.

(524) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.

(525) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م 1، ص73، ويلفظ اوتجين عند الهمذاني بارتجي اوتكين واحياناً اوتجكين او اوتجين والتسميات الثلاثة هي لشقيق جنكيزخان، ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 6 ،29، 178، 203، 253، 282، 294.

(256) نويان: اعلى رتبة عسكرية في جيش المغول وفي العادة كان يحملها أمراء الأسرة الحاكمة. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ص551.

(527) عن مكانة طغاجار، ويلفظ احياناً تبغاجار او تقاجار او تفجار، ينظر الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص243، 259، 275، 279.

(528) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص73.

(529) رحلات ماركوبولو، ص131.

لكرمه المفرط وتسامحه معهم واستطاع أن يكوّنَ منهم جيشاً بلغ تعداده اربعمائة الف فارس، دفعه غرور الشباب كونه على رأس هذه القوة الجبارة ليس فقط إلى نبذ ولائه لقوبلاي خان بل المطالبة بالخانية[530]. وفكرة الانقلاب على الخان ليست بالغريبة على هذه العائلة، فقد سبق لجده الكبير اوتجكين شقيق جنكيزخان ان طالب بالخانية بعد وفاة اوكتاي ودفع عدد من أمرائه رؤوسهم ثمناً لذلك[531].

وبهدف انجاح خطته للوصول للخانية أراد نايان التحالف مع قايدو [532] بن قايشين بن اوكتاي حاكم تركستان ولكن قايدو الذي عرف بدهائه السياسي وان طموحه لا يتعدى حكمه لولايته لذلك فضّلَ المماطلة على ما كان قد وعد بإرسال مائة الف جندي يشترك بها مع جيش نايان لغزو إقليم الصين[533]. كما ان علاقة

(530) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص129 – 131.

(531) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص225. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص178 – 182.

(532) قايدو: وهو ابن قايشين بن اوكتاي بن جنكيزخان، كان أحد أمراء منكوخان انحاز إلى جانب أريق بوقا ضد قوبلاي وعندما استسلم أريق بوقا التجأ قايدو عند ابن عمه بركة بن جوجي خان مغول القفجاق وبمساعدة بركة حاز قايدو على بعض الاملاك في بلاد ما وراء النهر ضمن إقليم التركستان وانتهز قايدو الذي عرف بدهائه السياسي الفوضى التي حلت بتركستان في أعقاب وفاة الغو سنة (664هـ/1265م) بأن وسع من مناطق نفوذه لتشمل اجزاء واسعة من تركستان وخلال ذلك استدعاه قوبلاي خان لغرض استمالته إلى جانبه بالقول ((إن أمنيتي هي ان ننير عيوننا برؤية بعضنا البعض ونتشاور في مختلف الموضوعات ثم تعودوا مشمولين بالعناية والرعاية)) لكن قايدو لم يقبل الدخول في طاعة الخان، فاعتذر قائلاً ان دوابنا هزيلة وعندما تسمن نمتثل للامر))، وهكذا ظل يتحجج بهذه الذرائع ولهذا عَدَ خارجاً عن الطاعة ويبدو ان قوبلاي لم يرغب بمواجهة كبيرة مع قايدو كي لا يفتح جبهة جديدة عليه ولاسيما أن تهديدات نايان كانت خطيرة وتحالفه معه قد يقلب الموازين لغير صالح قوبلاي وللتفاصيل ينظر، الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 21 – 22، 263. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص 129 – 130. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 704 – 711. فامبري: تأريخ بخارى، ص192.

(533) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص129–130.

قايدو بقوبلاي لم تكن بدرجة من السوء تجعل قايدو يعلن الحرب على قوبلاي لا بل ان رشيد الدين الهمذاني يذكر ان قوبلاي خان عندما أراد عقد قوريلتاي لجيمع عائلة آل جنكيزخان كان قايدو من جملة المدعوين لها [534] بحكم انه من سليل الأسرة الحاكمة فهو حفيد اوكتاي خان، وهكذا تخلى قايدو عن المشاركة مع نايان في الحرب ضد قوبلاي.

أدرك قوبلاي بأن نايان لم يكن بذلك المتمرد السهل فهو حاكم لولايات فاخرة على حد قول ماركوبولو يعمل تحت معيته اربعمائة الف فارس في أرض شعبها محب له ومستعد للموت من أجله[535] ولذلك أخذ يستعد لهذه الحرب وكان أول اجراء اتخذه هو سد جميع المنافذ المؤدية إلى بلاده من جهة بلاد نايان تحسباً لأية هجمات مفاجئة كي يعطي لاستعداداته العسكرية طابع السرية [536] ثم أصدر أوامره بأن تحشد بأقصى سرعة جميع القوات على مسيرة عشرة أيام من مدينة كامبالو وخلال عشرين يوماً كان قد تجمع لديه ثلاثمائة وستون الف فارس وجيش من المشاة عدده مائة الف جندي راجل وكان هدفه ان يتمكن بسرعة المبادرة التي هي مفتاح النصر من ان يحبط مقدماً استعدادات نايان ويدمر تجهيزاته قبل ان تكتمل للمعركة[537].

ويشير ماركوبولو أن قوبلاي كان بإمكانه ان يحشد أعداداً أكثرَ بكثير من هذه القوات، ولكن ادراكاً منه لوجود متربصين له ((في كل ولاية من ولايات كاثاي ((الصين) فضلاً عن أجزاء أخرى من مملكته فيها أشخاص كثيرون عرفوا بالخيانة والتحريض على الفتنة ممّن كانوا على استعداد في جميع الأحوال الانشقاق على مولاهم الملك)) [538]. لذا اقتضت الضرورة ان يحتفظ بكل ولاية تحتوي على مدنٍ كبيرة وعدد ضخم من السكان بجيش قادر على إخماد أية حركة

(534) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص263.
(535) رحلات ماركوبولو، ص129– 131.
(536) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.
(537) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.
(538) رحلات ماركوبولو، ص130.

تمرد[539]، وكان قوبلاي محقاً في هذا التحسب لأنه على حد قول رشيد الدين الهمذاني كان عدد من الأمراء من أبناء العائلة الحاكمة في بلاط الخان ((قد تغيرت قلوبهم من جهة الخان)) وكانوا متواطئين مع نايان سراً ضده[540] ولذلك ما ان كشف أمرهم حتى تولى هؤلاء الجند مهمة التصدي لهم وافشال خططهم[541].

تقدم قوبلاي بجيشه الضخم باتجاه بلاد نايان وتمكن بالزحف الشاق المتواصل ليلاً ونهاراً من بلوغ أرض المعركة بعد انقضاء خمسة وعشرين يوماً على بداية تحركه من مدينة كامبالو، واتخذ من سلسلة تلال لم يحدد آسمها وموقعها ليعسكر فيها، يقابله سهل عسكر فيه جيش نايان، وبعد يومين من الاستعدادات على أرض المعركة[542] حدثت المواجهة الكبرى، وكان قوبلاي خان يدير المعركة من على قلعة خشبية محمولة على أربعة أفيال [543] تحمي اجسادها أغطية من الجلد الثخين التي أكسبتها النار الصلابة وأسبلت عليها استار من قماش الذهب، وكانت القلعة محمية بالكثير من الفرسان وحملة السهام وقد رفع على قمة القلعة العلم الامبراطوري المحلى بصورة القمر [544]، ويبدو انه نفس صورة العلم الذي كان يرفع في عهد جنكيزخان حيث كان عليه صورة قمر وهو في المحاق والذي كان قد أقره جنكيزخان في قوريلتاي سنة (603 هـ/ 1206م). والتي سبقت الاشارة إليه في الفصل الأول.

وبخصوص المعركة يشير رشيد الدين الهمذاني ان سبب اتخاذ قوبلاي خان إدارة قيادة المعركة على قلعة محمولة على ظهر أفيال ترجع إلى كونه

---

(539) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.

(540) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.

(541) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.

(542) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 294. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص130.

(543) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 294. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.

(544) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131 .

مريضاً بداء المفاصل فضلاً عن كونه كان قد شاخ وضعف وحدد تأريخ المعركة بسنة (688هـ/1288م)[545]. وفي هذا التأريخ يشير ماركوبولو الذي كان يعيش معه في بلاطه ان قوبلاي خان بلغ سنُهُ خمساً وثمانين سنة في هذا العام أي سنة (688هـ/ 1288م)[546]. ويضيف تفاصيل دقيقة عن جيش قوبلاي المشارك في المعركة من حيث عدد الفرق والكتائب وعدد مقاتليها وما تضمنه من أصناف المقاتلة ونوع السلاح وخطة القتال وكيفية التحرك ودلالات الات النفخ من الصنوج والطبول والأناشيد لرفع الروح القتالية وبلغ من شدة ارتفاع صيحات الجند وصرخاتهم ومعهم أصوات الطبول وجلبة الخيول واصطكاك الاسلحة ان ثبت الرعب في قلوب من سمعها، وعندئذ بدأ قتال عنيف ودموي فامتلأ الجو على الفور بغمامة من السهام تساقطت من كلا الطرفين منهمرة في كل ناحية وشوهد اعداد هائلة من الرجال والخيول تسقط صرعى على الأرض بفعل السهام واشتبك الجمعان المتحاربان في قتال متلاحم بسيوفهم ودبابيسهم [547] وبلغ من هول المذبحة ومن ضخامة أكوام جثث الرجال وجثث الخيول بوجه خاص في الميدان ان صار من المحال ان تزحف أية وحدة من الطائفتين على الأخرى[548].

ويشير رشيد الدين الهمذاني ان جيش قوبلاي كاد ان ينهزم في المعركة لولا ثبات قوبلاي واصراره على النصر[549] وفي المقابل قاتل جند نايان بكل حمية وبسالة واخلاص، وكانوا يفضلون الموت على ان يديروا ظهورهم لجند قوبلاي ولكن الغلبة في النهاية كانت لقوبلاي الذي استطاعت كتيبة من خيالته الايقاع بنايان في فخ الأسر وفوراً أمر قوبلاي بإعدامه كي لا يواصل أتباعه القتال لفك

(545) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(546) رحلات ماركوبولو، ص129.
(547) الدبابيس: عمود من الخشب قصير ذات رأس من الحديد، العبيدي، صلاح حسين، أنواع الأسلحة العربية الإسلامية واوصافها بحث منشور ضمن موسوعة الجيش والسلاح، بغداد، 1988م، ج4، ص142.
(548) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.
(549) جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.

أسره[550] وهكذا بعد مقتل قائدهم استجاب جند نايان لطلب قوبلاي بالاستسلام لقاء العفو عنهم وحلف يمين الولاء للخان[551] فأمر بتوزيعهم على الولايات بهدف تشتيتهم[552].

وبعد هذا النصر المبين عاد قوبلاي إلى مدينة كامبالو بموكب فخم حيث اعد له احتفال عظيم فرحاً بالنصر[553].

8. تيمور وأخوه كملا والنزاع على منصب الخانية

كان قوبلاي خان في حياته قد عهد بولاية العهد لآبنه جيم كيم الذي كان قد فضله على باقي اخوته لرجاحة عقله وكفاءته [554]، وهذا الاختيار أثار حفيظة ابنه الاخر نوموغان الذي تحدث بقسوة وعدم رضا عن عدم ترشيحه بدلاً عن كيم ممّا أغضب والده وأمر بطرده من مجلسه وحرم عليه حضوره[555].

وشاءت الاقدار ان نوموغان وجيم كيم توفيا في حياة والدهم [556] وبذلك شغر منصب ولي العهد حتى أواخر عهد قوبلاي وبناءاً على نصيحة السيد الاجل الذي كان وزيراً وصاحب ديوان لقوبلاي خان[557] والذي أشار على الخان بضرورة تسمية أحد أبنائه لولاية العهد كي لا يحدث خلاف من بعده على منصب الخانية

(550) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 294. ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.
(551) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص131.
(552) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(553) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، ص133.
(554) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 294. قداوي: النساء الحاكمات في امبراطورية المغول، ص155.
(555) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(556) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294.
(557) عن مكانة السيد الاجل وأبنائه وما حازوه من مناصب لدى قوبلاي وأبنائه وما قاموا به من اصلاحات ينظر الصياد: المغول في التأريخ، ص222-223.

سمى حفيده تيمور بن جيم كيم لولاية العهد الذي كان قد بلغ عمره انذاك الخامسة والعشرين[558].

توفى قوبلاي خان سنة (693هـ/ 1294م)[559] وحسب العرف المغولي تتولى الزوجة الاثيرة او أحد أبنائها ادارة الامبراطورية لحين عقد قوريلتاي لاقرار ولي العهد لمنصب الخانية او اختيار أمير آخر من بين العائلة الملكية ليكون خاناً وبما ان الزوجة المحببة لقوبلاي خان كانت جابون خاتون قد توفت في حياة زوجها [560] وان اولادهما الاربعة جيم كيم وتورجي ونوموغان ومينكقلان هم الاخرون توفوا في حياة والدهم [561]. وان زوجة جيم كيم الخاتون كوكوجين التي كانت تحظى بمحبة الخان لها ووصفت بأنها آمرأة عاقلة، وكان قوبلاي يستشيرها في شؤون الحكم، ونظرا لهذه المكانة فقد اتفق الأمراء على توليتها امر تصريف شؤون الحكم لحين انتخاب خان جديد للبلاد[562].

انعقد القوريلتاي في مدينة كمين فو[563] بعد عام من وفاة قوبلاي خان أي سنة (694هـ/1295م)[564] وبحضور أعداد كثيرة من أمراء وخواتين العائلة الملكية من آل جنكيزخان [565] وخلال المؤتمر ظهر نزاع بين تيمور وأخيه كملا على منصب الخانية وكل منهما له أسبابه، فشرعية تيمور تستند على انه اختير من

(558) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص296–297.

(559) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 298. هوخام: تأريخ الصين، ص232.

(560) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص237.

(561) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص238، 294.

(562) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص294 ، 313.

(563) كمين فو: مدينة كانت تعد المصيف الصيني لقوبلاي خان واولاده وموقعها في إقليم بلاد الخطا الصينية. الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 271، 274.

(564) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313.

(565) عدد الهمذاني اسماء معظم من حضر من الأمراء الكبار من العائلة الملكية القوريلتاي وللاطلاع على اسمائهم ينظر جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313.

قبل جده قوبلاي كمرشح لهذا المنصب بتوليه ولاية العهد اما كملا فعد نفسَهُ صاحبَ الأفضلية لتولي هذا المنصب بحكم انه الأكبر سناً[566] من بين أبناء جيم كيم، وان كان العرف المغولي لا يشترط ان تكون الاحقية للاكبر سناًُ من الأبناء ليكون هو الخان، فأوكتاي اول خان بعد جنكيزخان وكان الثالث من حيث الترتيب العمري بين أبناء جنكيزخان[567]. وهكذا احتدم النزاع بين الأخوين وكاد أن يؤدي إلى قتال لولا تدخل والدتهم كوكوجين خاتون التي اقترحت عليهما حلاً للمشكلة وأمام جميع من حضر القوريلتاي من الأمراء والخواتين طلبت من كل منهما بأن يوضحا قوانين جنكيزخان والأفضل هو الذي يجلس على عرش الخانية، وهنا تغلب تيمور لمعرفته وفصاحة لسانه على أخيه كملا الذي كان شحيح المعرفة ولا يجيد الكلام فصاح الجميع ((ان تيمور أكثر معرفة وأحسن بياناً، فهو الجدير بالتاج والعرش))[568].

وهكذا أجريت مراسيم تتويج تيمور لمنصب الخانية وحسب الرسوم والاعراف التي سبق ان توج بها من قبل باقي خانات المغول، وبعد الانتهاء من الاحتفالات أخذ في اصدار الاوامر والتعليمات التي تخص إدارة الامبراطورية ومجاراةً لأخيه كملا كي لا يحمل ضغينة عليه نسب له ان يكون حاكماً على منغوليا متخذاً من قراقورم مقراً له، ويعد منح حكم منغوليا له تكريماً بحد ذاته ذلك باعتبار انها ديار جنكيزخان الكبرى [569]. وهكذا استجاب كملا لهذا التعيين وسارت العلاقة بينهما دون خصام.

9- انهيار حكم أسرة قوبلاي خان في بلاد الصين

لم يواجه تيمور خلال فترة حكمه بعد انتهاء أزمة كملا تمرداً على منصب الخانية من أبناء الأسرة الحاكمة، ولكن كبير أمرائه سرتاق صور للخان تيمور ان

(566) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313.
(567) الجويني: تأريخ فاتح العالم جهانكشاي، م1، ص72، 172– 173.
(568) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص313 – 314.
(569) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص314.

ابن عمه الأمير انندە آبن منيكقلان بن قوبلاي خان حاكم ولاية تنكقوت الصينية قد دخل الإسلام وان إسلامه أخذ يشكل مصدر خطر على الدولة [570] ذلك لأن انندە تمكن من أن يدخل غالبية جنده وسكان ولاية تنكوت الإسلام وقدر عدد من دخل من جنده الإسلام بمائة وخمسين الف، فأثار ذلك حفيظة تيمور الذي أمر باعتقال انندە وأمر بمحاكمته وتولى هو شخصياً مسائلته فدار بينهما حوار وفيها سأل الخان انندە ((هل رأيت رؤية او سمعت إلهاماً، او حدث لك شيء او ارشدك شخص في طريق الإسلام كي يهدني انا كذلك)) فأجابه أنندە ((لقد هداني الله الأعظم إلى معرفته)) فقال الخان ((إنما هداك الشيطان ذلك السبيل)) فأجاب انندە ((إذا كان الشيطان قد هداني فمن الذي هدى غازان الذي هو أخي الاكبر)) [571] ولامتصاص غضب الخان ولتفادي تطور الأمر إلى حالة تمرد تدخلت والدة الخان كوكوجين خاتون التي احتوت الموقف بقولها لآبنها الخان ((لقد جلست على العرش منذ عامين، ولم يستقر لك الملك بعد – ولأنندە جنود كثيرون وجميع هؤلاء الجنود واهل ولاية تنكوت مسلمون ويستنكرون منك هذا الموقف، وربما يغيرون قلوبهم فيكونون قريبين من بلاد الاعداء واذن فليس من المصلحة اجباره على ترك الإسلام فلندعه وشأنه لمذهبه ونحلته)) [572] فأخذ الخان بنصيحة أمه الحكيمة فخلى سبيله وطيب خاطره وخلع عليه وأعاده حاكماً معززاً على ولايته [573]. كما استجاب لنصيحتها عندما أشارت عليه بتأجيل محاربة ابن عمه قايدو بن قايشين بن اوكتاي حاكم إقليم بلاد التركستان الغربية الذي كان قد أعلن انفصاله عنه لحين استكمال قواته، وقد كانت مشورتها صائبة فبعد عامين من الاستعداد أنزل

(570) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص315 – 316.
(571) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص316 – 317.
(572) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص317.
(573) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 317. قداوي: النساء الحاكمات في امبراطورية المغول، ص157.

تيمور خان الهزيمة بقايدو الذي أصيب بجرح بليغ في المعركة توفى على أثرها وذلك سنة (701 هـ/ 1301م)[574].

وكانت هزيمة قايدو آخر حركة تمرد شهدتها الامبراطورية المغولية من قبل أبناء الأسرة المغولية الحاكمة في الصين حيث تحسنت أحوال البلاد وانصرف الخان إلى الشؤون الاصلاحية في البلاد ونشطت حركة التجارة في عهده وفي عهد خلفه هوي زونغ (708 – 711 هـ/ 1308– 1311م) وتشير المعلومات إلى ان الخان هوي كان شديد الهوى بالثقافة وفي عهده تمت طباعة كتاب في الصيدلة فيه 893 مادة طبية وفيها وصف للمادة وخصائصها [575]، كما نشطت حركة الصناعة ولاسيما صناعة المنسوجات وصناعة الخشب والسيوف ورؤوس السهام والدروع وكان قسم كبير منها يصدر إلى العالم الإسلامي، وصاحب ذلك انتعاش في التجارة الخارجية واقيمت خانات ومحطات تجارية جديدة وازدادت عدد عربات النقل وأعداد الجاليات الأجنبية في البلاد ولاسيما من التجار المسلمين والاوربيين والبعثات التبشيرية [576] غير ان هذا التطور لم يستمر طويلاً بسبب السياسة الخرقاء التي اتبعها الخانات الذين اعقبوا هوي زونغ تجاه رعاياهم من الشعب الصيني، فقد تعاقب بعد هوي ستة من الخانات [577] كان آخرهم غوزكسينغ (729– 766هـ/1328– 1365م)) وجميعهم مارسوا اساليب الاضطهاد والعبودية تجاه معظم رعاياهم من الشعب الصيني بحيث غدت اساليب اجبارهم على العمل دون أجر من الأمور التي اعتاد الفلاحون الذين كانوا يشكلون غالبية الشعب الصيني القيام بها [578] كما حدث على عهد هؤلاء ان افتقدت القبائل المغولية في

(574) الهمذاني: جامع التواريخ ((تأريخ خلفاء جنكيزخان))، ص 322. لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص 193. فامبري: تأريخ بخارى، ص197.

(575) الحمد، محمد عبد الحميد: حضارات طريق الحرير، منشورات الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007 م، ص80.

(576) الحمد: حضارات طريق الحرير، ص80–81.

(577) عن اسماء الخانات ينظر لين بول: طبقات سلاطين الإسلام، ص197 – 198.

(578) الحمد: حضارات طريق الحرير، ص81.

الصين اهتماماتها ومهاراتها القتالية ولاسيما مباراة الرماية من فوق الخيل التي كانت تميز أجدادهم [579] ونتيجة لهذا التدهور تزايدت المعارضة الصينية ضدهم أكثر فأكثر حتى إن الحوليات الصينية تذكر انه ((كان هناك هجوم في الشرق واضطهاد في الغرب واعمال انتقامية في الجنوب وحرب في الشمال حيث كان الجميع يأملون في ظهور محرر))[580].

فظهرت انتفاضة في الشمال قادها الثائر الصيني تشي ليوليانغ سنة (720هـ/ 1320م) ومع ان حركته استمرت سنين طويلة غير انها لم تسقط الدولة[581] إلى ان ظهرت حركة جديدة أخرى في شمال الصين مطلع الخمسينات من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، عرفت بحركة العمائم الحمراء وكان قادتها من الفلاحين والحرفيين ومن صغار التجار إذ تمكنوا من الاستيلاء على مدينة نانكنج القريبة من هانجتشو وذلك سنة (755هـ/ 1354م) ثم أصبح الثوار تحت قيادة تشويوان شانج وكان هذا في شبابه يعيش على التسول والشحاذة ثم أصبح بوذياً وبعدَها انضم إلى الثوار وسرعان ما وصل إلى السلطة اذ في غضون عشرة سنوات كان قد أحكم سيطرته على معظم أراضي الصين وفي عام (766هـ/1365م) أعلن تشويوان شانج نفسه امبراطور واصبح اسمه ((هونج وو)) كأول امبراطور لأسرة منج الحاكمة واقام عاصمته بالمنطقة المنخفضة بوادي نهر اليانكتسي في نانكنج وفي العام نفسه قاد هونج هجوماً شاملاً احتل فيه العاصمة بكين حيث منها هرب خان المغول وأسرته وأمرائه إلى منغوليا وفيها اختفى اثرهم[582] ويعد ذلك نهاية للامبراطورية المغولية.

(579) هوخام: تأريخ الصين، ص246 – 247.
(580) هوخام: تأريخ الصين، ص247.
(581) الحمد: حضارات طريق الحرير، ص81.
(582) هوخام: تأريخ الصين، ص247 – 248.

1432هـ/2011م

The Mongolian Empire (A study in the rise and the conflict of dynasty for the great Kahn) (603-766A.H / 1206-1365A.D)

[*]Alai Mahmood Khalil Kadawy &[**] Ragd Abd-Alkreem Ahmad

Abstract

Historically the Mongolian period is considered as one of the most horrible one, and the most painful. It has destroyed regions such as China, Middle Asia Iran, Iraq and Eastern Europe. All of these regions, in turn, constituted the Mongolian Empire.

The subject of this Empire is an important one in the Arabian and Islamic history. It is not less than the study of the Crusades. In that part of Arabian and Islamic history related to this Empire beginning from the fall of the Khawarizm State and Abbaside Caliphate and the effectiveness of the this conversion on their relations with Islamic powers, especially the Mamluk state in Egypt and Syria.

This conreetion made the ultimate understanding of the different aspects of this Empire which in turn urged the researcher to study one of these aspects, i.e to study subject entitled (The Ruling Dynasty Conflict on the Succession of Power in Mongolian Empire) .

This study consist of introduction and four chapters. The introduction tackles the Mongol's early history where the researcher explained who are the Mongol, their migration and struggle to servive, as well as the roughly time for the appearance of Mongol term, and the historical narratives which studied their origins and political conflicts.

The first chapter entitled "Temojen and the establishment of his Empire". It also includes the studying of the significant tribes in Mongolia, Temojen's growth, his political conflicts, how it comes to him to unify Mongolia and

[**] Dept. of History / College of Arts/ University of Mosul.

[*] Dept. of History / College of Arts/ University of Mosul.

establish his Empire and then, divided the Empire amongst his four sons.

The second chapter entitled "The Ruling Royal Dynasty Conflict on the Post of Al-khan Adham", deals with the political conflicts happened amongst Chingiz Khan's sons and grandsons about the post of al-khan al-A'dham, and what has witnessed of associated wars in addition to insurrection movements beginning from the conflict about succession of Ogadai Khan, and ending with the collapse of Qublai Khan in China.